

تاريخ الإسكندرية

في العصر الحديث

بقلم

د. عبد العظيم رمضان



إهداء ٢٠٠٩

أسرة المرحوم الأستاذ / سامي خشبة
جمهورية مصر العربية

تاريخ الإسكندرية في العصر الحديث

بقلم
د. عبد العظيم رمضان



تقديم

تعد هذه الدراسة التي أقدمها عن مدينة الاسكندرية دراسة فريدة في سلسلة الدراسات التي قدمتها في تاريخ مصر الحديث والمعاصر . فقد درجت في الدراسات السابقة على تناول موضوعات مجهولة في تاريخ مصر ، أو موضوعات لم تدرس بعد دراسة علمية أكاديمية ، لأكشف غوامضها وألقى الضوء على جوانبها ، وهو ما يتفق مع المعنى الحقيقي لكلمة دراسة تاريخية ، ولكنني في هذه الدراسة عن مدينة الاسكندرية أقوم بمهمة أخرى هي إعادة اكتشاف قديم سبق اليه غيري من الباحثين بدراسات موسعة ، لأقدمه الى القارئ في دراسة مركزة تبرز أهم خطوط الفترة التي تناولتها ، وهي العصر الحديث ، وبتركيز أكثر على الفترة من الحملة الفرنسية الى الثمانينيات من هذا القرن .

وأظن أن مثل هذه الدراسات المركزة لا تقل أهمية عن الدراسات الموسعة لمن لا يتطلب تخصصه التعمق والتوسع في دراسة حقبة معينة ، كما أن مكتبتنا العربية

مفتقرة اليها ، فقد درجت العادة في مثل هذه الدراسات المركزة أن تكون دراسات مسحية سطحية تفتقر الى المنهج العلمى ، بالاضافة الى أنها دراسات متعجلة غالبا . ولكن لم تجر العادة على تقديم دراسات علمية مركزة تتحرى المقاييس العلمية للدراسات التاريخية ، لأن مثل هذه الدراسات تتطلب - فى العادة - نفس الوقت الذى يقضى فى الدراسات الموسعة ، دون أن ينعكس طول هذا الوقت على طول الدراسة وتقديم كل ما حصل عليه الباحث من مادة البحث !

وهذا هو ما حدث فى هذه الدراسة المركزة التى بين يدى القارئ ، فان الوقت الذى بذل فى دراستها كان يكفى لتقديم عمل علمى أكبر حجما ، فالبحث العلمى هو البحث العلمى ولا يوجد وسط ، والمصادر والمراجع التى يرجع اليها فى العمل العلمى الموسع هى نفس المصادر والمراجع التى يرجع اليها فى العمل العلمى الموجز ، والا حفلت الدراسة بالأخطاء العلمية والوقائع التاريخية المحرفة والآراء المتعجلة . وهو ما يسلب من الدراسة صبغتها العلمية .

ولقد عالجت فى هذه الدراسة تاريخ مدينة الاسكندرية منذ أن نزلتها الحملة الفرنسية بقيادة الجنرال بوناپرت فى ليلة ٢ يوليو سنة ١٧٩٨ حتى العصر الحاضر . وكان من الضروري التعرف على حالتها

الاجتماعية والاقتصادية والحضارية قبل نزول الحملة
فى المراجع السياسية التى تعرضت لها ، وكان على رأس
هذه المراجع كتابات علماء الحملة الفرنسية عما شاهدوه
وسطروه فى كتاب « وصف مصر » - وقد وجدت فيما
كتبه جراتيان لوبيير عن مدينة الاسكندرية ، مادة كافية ،
ومن حسن الحظ أن هذه المادة قام بترجمتها الى العربية
ترجمة جيدة المرحوم زهير الشايب فى الجزء الثالث
من ترجمته لكتاب « وصف مصر » -

أما المحاولات الأوروبية التى جرت قبل الحملة
الفرنسية لاهياء الطريق البرى بين السويس
والاسكندرية ، وما كتب الرحالة الفرنسيون عن أهميتها
الاستراتيجية ، فقد وجدت مادة كافية عنها فى كتاب
الأستاذ الدكتور محمد قواد شكرى عن : « الحملة
الفرنسية وظهور محمد على » ، وأيضا فى الكتاب الذى
قمت بترجمته لجون مارلو عن « تاريخ النهب الاستعماري
لمصر » وصدر عن هيئة الكتاب .

وعن أوضاع الاسكندرية أثناء الحملة الفرنسية ،
استفدت مما كتبه « كرستوفر هيرولد » فى كتابه
« بوناپرت فى مصر » ، الذى أصدرته دار الكتاب
العربى للطباعة والنشر مترجما . كما استفدت مما
كتبه المرحوم عبد الرحمن الرافعى فى كتابه « تاريخ
الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر » ، الذى

صدر فى جزعين ، وعالج فيه الحركة القومية فى مصر
من الحملة الفرنسية حتى ارتقاء محمد على أريكة مصر ،
وهو من أحسن الكتب التى ألفها المرحوم الرافعى -

وأما عن العلاقة بين كل من انجلترا والدولة
العثمانية من جهة وفرنسا من جهة أخرى ، ونتائجها على
مسير الحملة الفرنسية ، فقد استفدت من العمل
الموسوعى الذى قدمه الدكتور محمد فؤاد شكرى عن :
« مصر فى مطلع القرن التاسع عشر ، من ١٨٠١ الى
١٨١١ ، وطبعته كلية الآداب بجامعة القاهرة فى عام
١٩٥٨ ، وهو أحسن ما قدم عن هذه الفترة . ويكمل
هذا العمل الجليل كتاب الدكتور شكرى الآخر عن
« عبد الله جاك مينو وخروج الفرنسيين من مصر » ،
الذى أصدرته جماعة الأزهر للنشر والتأليف فى عام
١٩٥٢ . وأهمية هذه الكتب أن المؤلف رجع فيها الى
عدد هائل من المراجع والمصادر والوثائق الأجنبية ،
بالإضافة الى المراجع والمصادر المصرية . وتمكن بذلك
من مسح تلك الفترة مسحاً علمياً وتاريخياً مستفيضاً .

وبطبيعة الحال فإن هذه الكتب قد خدمت أيضاً
فترة الاحتلال الانجليزى الأول للاسكندرية ، وأحوال
الاسكندرية فى عهد الفوضى المملوكية ، وحملة فريزر.
وولاية محمد على الحكم . والعلاقات بين الدولة
العثمانية والدول الكبرى ، فضلاً عن الصراع الذى دار

بين محمد علي والمماليك والانجليز ، حتى استيلاء محمد علي على الاسكندرية ، وضمها الى ولاية مصر ودخولها في نطاق باشوية القاهرة -

وقد استفدت في الكتابة عن الاسكندرية في عصر محمد علي وخلفائه بكتب الراقى عن : « عصر محمد علي » ، و « عصر اسماعيل » وهو في جزئين ، بالإضافة الى العمل العلمي الهام : « بناء دولة ، عصر محمد علي » ، الذى ألفه كل من الدكتور محمد فؤاد شكرى وعبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل ، وصدر فى عام ١٩٤٨ ، ويشمل الوثائق والتقارير الأجنبية بالإضافة الى الوثائق التاريخية المصرية -

أما عن الاحتلال البريطانى للاسكندرية ، فقد استفدت فيه بكتاب الراقى عن : « الثورة العرابية » ، الذى صدر فى عام ١٩٣٧ ، بالإضافة الى العمل الموثق الذى قدمه الأمير عمر طوسون عن : « يوم ١١ يولية ١٨٨٢ » الذى صدر عام ١٩٣٤ ، خصوصا فيما قدمه عن حصون الاسكندرية والسفن الانجليزية التى ضربتها فى ذلك اليوم -

وقد استفدت من كتاب : « مجتمع الاسكندرية عبر العصور » الذى قدمته كلية الآداب بجامعة الاسكندرية فى عام ١٩٧٥ ، ويشتمل على المحاضرات التى ألقى فى ندوة علمية بكلية الآداب فى أبريل ١٩٧٣ بالتعاون

مع الجمعية التاريخية المصرية وذلك في معالجة تاريخ الاسكندرية الاجتماعى فى فترة الاحتلال البريطانى وفى عهد الاستقلال الوطنى . وقد استفدت خاصة من دراسة الدكتور عمر عبد العزيز عن « مجتمع الاسكندرية فى العصر العثمانى » ، ودراسة الدكتور حسن محمد صبحى عن « المؤثرات الأوروبية فى مجتمع الاسكندرية فى العصر الحديث » ، ودراسة الدكتور محمد محمود السروجى عن « مجتمع الاسكندرية والحركة الوطنية » ، ودراسة الدكتور محمد زكى العشماوى عن « الحركة الأدبية فى الاسكندرية » ، ودراسة الأستاذ شارل شميل عن: « صحافة الاسكندرية » . هذا فضلا عن كتاب هيئة الاستعلامات عن مدينة الاسكندرية الذى صدر عام ١٩٨٧ .

ولعل هذا العرض يوضح للقارئ أن العمل الذى ينذل فى هذا الكتاب يساوى العمل الذى ينذل عادة فى كتاب يفوقه حجما ومادة ، ولكنه يتيح للقارئ الاحاطة بتاريخ مدينة الاسكندرية فى العصر الحديث فى أقل عدد من الصفحات .

فهو يتابع حالة الاسكندرية قبل الحملة الفرنسية، والمحاولات التى مهدت لها لاعادة احياء الطريق البرى بين السويس والاسكندرية ، ووصول الأسطول الانجليزى بقيادة نلسون اليها قبل وصول الأسطول الفرنسى ،

والصراعات السياسية والعسكرية الدولية والمحلية التي دارت في الاسكندرية أثناء الحملة الفرنسية حتى خروجها من مصر . كما يتناول الاسكندرية في فترة الاحتلال الانجليزى الأول، وفي عهد الفوضى المملوكية. وحملة فريزر . وولاية محمد على الحكم . كما يتابع محاولات محمد على لحياء الاسكندرية واعادتها الى مكانتها التي فقدتها على مدى قرون . وأوضاع الاسكندرية أثناء الثورة العرابية ، واحراقها على يد سليمان داود عند انسحاب القوات العرابية . ثم حالة الاسكندرية في أثناء الاحتلال البريطانى وزيادة الطابع الأوربى لها ، ونشاط الأوروبيين فيها ، وينتهى بما صارت اليه مدينة الاسكندرية فى عهد الاستقلال الوطنى ، وتفوقها على مركزها الأول .

ولعل بذلك أكون قد أقيمت شعاعا من الضوء على تاريخ هذه المدينة العظيمة .

مصر الجديدة فى ١٠ فبراير ١٩٩٣

د . عبد العظيم رمضان

الحالة الحضارية للاسكندرية عند مجيء الحملة الفرنسية :

يخطيء من يظن أن الأهمية الاستراتيجية لمدينة الاسكندرية عند مجيء الحملة الفرنسية كانت هي نفس الأهمية التي كانت لها في عهد البطالمة ، عندما كانت عروس المدائن ، ومركز تجارة العالم – يسكنها نحو ستمائة ألف نسمة ، أو في عهد الرومان ، حين كانت المدينة الثانية في العالم – وانما تعرضت هذه الأهمية للتدهور ابتداء من فتح العرب لمصر ، عندما انتقل محور علاقاتها الخارجية من أوروبا (اليونان – روما – القسطنطينية) الى آسيا (شبه جزيرة العرب – دمشق – بغداد) وانتقلت العاصمة الى الداخل (الفسطاط – القطائع – القاهرة) ومع ذلك ظلت مزدهرة حتى نحو نهاية القرن الرابع عشر ، حسبما يذكر أبو الفداء الذي قام بزيارة لها في سنة ١٣٨٣ م .

ومع بداية العصر الحديث أخذت الاسكندرية تفقد أهميتها بشكل ثابت تحت عاملين : الأول ، اكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح الى الهند في عام ١٤٩٧ ، وتحول الشطر الأكبر من التجارة بين

أوروبا والهند الى طريق المحيط الأطلنطي ، مما أفقد الاسكندرية أهميتها كطريق بين الغرب والشرق ، ومستودع للمتاجر ، الأمر الذى أدى الى اضمحلالها تدريجيا - ثانيا - الفتح العثماني لمصر ، وانتهاج العثمانيين سياسة عزل مصر عن العالم الخارجى خوفا من خطر الاستعمار الغربى - وعزوفهم عن احياء تجارة الشرق حتى لا يأتى الاستعمار فى أعقاب التجارة - وقد ذهبوا فى ذلك الى حد قرض تقليد جديد يقضى بمنع المراكب الأوروبية من الدخول فى البحر الأحمر ، بحجة أنه يطل على الأماكن المقدسة للمسلمين فى الحجاز ، وهو التقليد الذى ظلت الدولة العثمانية متمسكة به حتى أواخر القرن الثامن عشر .

وقد جرت بعض المحاولات لحياء الطريق البرى بين السويس والاسكندرية عندما كان الحكم فى مصر يقع فى يد بعض المماليك الأقوياء الذين كانوا يستأثرون بحكم مصر - فحاول عقد معاهدة بين هيستنجز *Hastings* حاكم البنغال وعلى بك الكبير ، تؤمن التجارة الانجليزية من الاعتداء عليها أثناء نقلها من السويس الى الاسكندرية - ولكن الحوادث فى مصر أطاحت بعلى بك الكبير - وقد نجح الانجليز فى عقد المعاهدة مع خلفه محمد أبو الذهب فى ١٧ مارس ١٧٧٥ - ولكن الدولة العثمانية اعترضت على هذه المعاهدة على أساس أن الاحترام الواجب للحرمين الشريفين لا يجيز للسفن

الانجليزية الملاحه فى البحر الأحمر شمالى جدة ، وخوفا
من أن يؤدى احياء الطريق البرى الى زيادة ثروة
المعاليك وتشجيع اتجاهاتهم الانفصالية عن الدولة
العثمانية - وقد تلى ذلك نجاح تروجويه Truguet
مندوب سفير فرنسا فى الآستانة ، فى عقد معاهدة مع
مراد بك فى يناير ١٧٨٥ ، فى اطار اهتمام فرنسا
بمصر كحلقة من حلقات الصراع بينها وبين بريطانيا
حول الهند - لكن ذلك كله لم يسفر عن اعادة الفاعلية
للطريق البرى بين السويس والاسكندرية -

وقد ترتب على ذلك أنه عند مجيء الحملة الفرنسية
الى مصر كانت الاسكندرية قد تحولت الى مدينة صغيرة
يبلغ عدد سكانها نحو ثمانية آلاف نسمة ، عمرانها
متهدم ، وبيوتها أشبه ببيوت القرى ، وشوارعها ضيقة
كثيرة التعاريج ، ومعظم سكانها فقراء - ولم يبق من
الاسكندرية القديمة سوى الاسم والأطلال الدارسة -

على أن أهميتها الاستراتيجية باعتبارها مدخلا الى
مصر أخذت تتزايد - مع ذلك - مع تزايد اقتناع فرنسا
بضرورة احتلال مصر ، احياء لفكرة فتح ميادين جديدة
للاستعمار فى الشرق تعويضا عن مستعمراتها فى الهند
والغربية من جهة ، ومن جهة أخرى للتدخل فى الهند
وطرد الانجليز منها والتمكن بفضل ذلك من القضاء على
تجارتهم فى الشرق -

وقد كان الذى أبرز الأهمية الاستراتيجية
 للاسكندرية الرحالة الفرنسيون • فقد زار البارون دى
 توت Tott مصر فى أوائل يونية ١٧٧٧ موقدا من
 وزير البحرية الفرنسية ، لتقديم تقارير عن شواطئ
 الليفانت ، وكتب مذكرة تحت عنوان : « ملاحظات على
 الشواطئ المصرية » وصف فيها سوء حالة التحصينات
 فى الشاطئ المصرى الشمالى ، على مدخل الاسكندرية فى
 مينائها الجديد والقديم ، ثم فى أبى قير التى قال عنها
 « انها ذات فرصة واسعة لرسو المراكب بأمان » ،
 اذ لا تحميها سوى قلعة واحدة فقط ، ويعوز الجند
 النخيرة ، وفى حائل أسوأ من الاسكندرية ، وفى عام
 ١٧٨٧ زار فولنى مصر ، ووصف الاسكندرية من
 الوجهة الحربية ، فقال : انها لا قيمة لها اذا لا توجد
 بها أية تحصينات ولا يوجد بها قلعة ذات شأن أو خطر ،
 أما قلعة المنارة (طابية قايتباى) بأبراجها العالية ،
 فانها لا تصلح للدفاع عنها ، اذ ليس بها سوى أربعة
 مدافع صالحة للضرب ، وحاميتها المؤلفة من خمسمائة
 من الانكشارية نقص عددهم ! النصف تقريبا ، وصاروا
 لا يدرون من فنون الحرب شيئا ، ويمضون وقتهم فى
 التسخين ، وان فرقاطة واحدة تكفى لهدم المدينة ،
 وعندما قرر بوناپرت الحملة على مصر أراد أن يصحب
 معه فولنى ، ولكنه اعتذر بكبر سنه ، فاكفى بوناپرت
 بأن يحمل معه كتاب « رحلة فولنى Volney » الى مصر •

كانت الاسكندرية التي نزلت اليها الحملة
الفرنسية قد تحولت الى بلدة صغيرة تقع شمالي
المدينة القديمة ، وتنحصر في شبه الجزيرة التي بين
الميناء الشرقي والميناء الغربي . ومن المعروف أن
الاسكندرية ، بنيت في مكان قرية على شاطئ البحر
المتوسط تجاه جزيرة فاروس ، ثم تم توصيل القارة
بالجزيرة عن طريق جسر ضيق اتسع تدريجيا عن
طريق الردم ، فتكون من هذا الاتصال ميناءان هما :
الميناء الشرقي ، والميناء الغربي . أما الميناء الشرقي
ويعرف باسم الميناء الكبير *Magnus Portus* في عهد
البطالة ، وكان يعرف باسم « مرسى السلسلة » وفقا
لليون *Jean Léon d'Afrique* فكان يتكون من خليج
صغير شبه دائري تبلغ فتحته من الشمال ١٧٨٩ مترا ،
ومحصور بين سلسلة من الشعب الصخرية التي تقلل
من اتساع الممر القابل لمرور السفن الى حوالي ٥٠٠
متر ، وتجعله ، نظرا لانفتاحه كلية أمام رياح الشمال
والشمال الشرقي عاجزا عن استقبال كل السفن فيما
عدا بعض الفرقاطات والسفن الحربية الصغيرة .
وكانت السفن الأوروبية لا ترسو الا به ، اذ كان
محظورا عليها الرسو في الميناء الغربي بأمر حكومة
الماليك . وعلى شاطئ هذا الميناء كان يوجد الجمرك
ودور القناصل .

وفى النهاية القصوى من هذا الميناء من الناحية الشمالية توجد القلعة المعروفة باسم «طايبية قايتباى» .
التي بناها السلطان الأشرف قايتباى فى القرن الخامس عشر ، ويسمىها الفرنسيون باسم « قلعة المنارة »
Le Phare لأنها أنشئت فى المكان الذى كان به منارة
الاسكندرية القديمة المعدودة احدى عجائب الدنيا
السبع . وعلى مدخل الميناء الشرقى من الجهة الشرقية
المقابلة لقلعة قايتباى يوجد برج السلسلة القائم أثره
حتى اليوم ، ويسميه الفرنسيون Phazillon

أما الميناء الغربى ، أو الميناء القديم Port Vieux
فهو الواقع بين شبه جزيرة رأس التين والبر .
وهذا الميناء فسيح وعميق والرسو فيه مأمون ،
وتستطيع أكبر السفن التجارية أن ترسو هناك على
مسافة قصيرة . وذلك نظرا لأن مرتفعات شبه جزيرة
رأس التين تجعله كلية فى حى من رياح الشمال
الغربى وكذا رياح الشمال والشمال الشرقى . وكان
دخوله محرما على السفن الأوروبية . وفى هذا الميناء
توجد الترسانة ومخازن البحرية التى كانت على درجة
كبيرة من التأخر والاهمال . كما توجد بقايا مصانع
قديمة ومبان أخرى من الطوب والأسمنت . ويدافع
عن الرأس الواقع جنوب غرب شبه جزيرة رأس التين
طايبية تتسمى باسم رأس التين . وهناك حصنان

آخران لهما طابع عربى يحميان الميناء من الداخل .
وهذا الجزء من شبه الجزيرة مخصص فقط لمقابر
المسلمين ، وبه المدافن الخاصة بالعائلات ، وهى من
الرخام الأبيض أو من الحجر الجيرى . وفى النهاية
القصوى لشاطئ الميناء الغربى الجنوبي يوجد اللسان
المعروف بجهة العجمى ، والمسافة بينه وبين رأس التين
فى شمال الميناء ٨٣٠٠ متر على خط مستقيم . واسم
« العجمى » يرجع الى اسم مسجد باسم مسجد الشيخ
العجمى ، أقيم حوله حصن أو قلعة صغيرة على قمة
السلاسل الصخرية الى الجنوب الغربى من الخليج .

وتقع مدينة الاسكندرية بين الميناءين ، وقد
بنيت فوق صخرة جيرية ضاربة الى البياض ، وتغطيها
فى جزء منها كثبان رملية متحركة . وعند مجيء
الحملة الفرنسية الى الاسكندرية لم تكن المدينة تضم
أى مبنى له أهمية ، وكانت مساجدها الرئيسية التى
يبلغ عددها من ٢٥ الى ٣٠ مسجدا ، وكذلك الوكالات
والمتاجر العامة والبيوت الخاصة والأرصفة كذلك .
تمتلىء بأعمدة من الحجر الجيرى أو الرخام أو الجرانيت
أو الألبستر، وتوجد عليها نقوش قديمة ، وهى مأخوذة
من قصور قديمة خربة . ولم يكن من بين كل هذه
المنشآت منشأة واحدة تستحق وصفا خاصا ، وكان
البناء والتوزيع الداخلى للبيوت بالغ السوء ويستعصى
على الفهم ، ولا تشكل واجهات البيوت الا واجهات

ملساء تميل الى البياض ، وتخترقها نوافذ صغيرة
تغطيها تقفيصات من الخشب • أما شوارعها الضيقة ،
غير المرصوفة ، والتي ليس بها أى مجرى لتصريف مياه
المطر ، فكانت تظل متربة أو موحلة حسب الطقس ،
وكل شيء يساهم فى اعطاء المدينة مظهرا حزيناً وطائفا
رتيباً فى نظر كل أوروبى تجذبه الى هذه المنطقة من
العالم التجارة أو حب السياحة •

وكانت حدود العمران فى الاسكندرية فى أواخر
القرن الثامن عشر تنتهى شمالاً فى مقابلة شبه جزيرة
رأس التين ، فكانت جميع الجهات الواقعة بين البحر
شمالاً وشارع أبى وردة الى جامع أبى العباس بعضها
مدافن وبعضها نقع ، ولم يكن بها مساكن سوى بعض
بيوت للصيادين المعروفة بالسيالة • وكان حد المدينة
من الجهة القبلية الحارة المعروفة الآن بحارة المغاربة
قريباً من ميدان محمد على • ويكفى لمعرفة مدى تقلص
المدينة فى ذلك العصر أن نعرف أن موضع عمود
السوارى كان يبعد عن المدينة بنحو كيلو ونصف
جنوباً •

ويقول جراتيان لوبر Gratién Le Pere فى دراسته
عن مدينة الاسكندرية التى قام بها أثناء الحملة
الفرنسية انه لا يمكن تحديد فترة زمنية معينة أنشئت
فيها هذه المدينة الحديثة ، فقد بنيت وسكنت - من

جهة - مع اتساع ترسيبات الرمال تدريجيا الى الشمال، ومن جهة أخرى عندما كانت الحروب المدنية والدينية، أو تلك التي تشنها الدول الأجنبية ، تنشب لتسبب في المدينة القديمة دمارا يدعو الى هجرها بشكل جزئي .

توضح الدراسات عن أسوار الاسكندرية التقلص التدريجي للمدينة عبر العصور . فقد كان للمدينة سور بناء البطالمة ، كشف عن موقعه العالم المصرى محمود باشا الفلكى فى رسالة باللغة الفرنسية طبعها سنة ١٨٦٦ ، وكان يضم شوارعها ومسارحها ومتاحفها ومكتبتها الشهيرة وقصورها ومبانيها وضواحيها . ورسالة محمود باشا الفلكى مقرونة بخريطة من ابداع مارسمه العلماء والمهندسون . ثم بنى سور جديد للاسكندرية فى عهد أحمد بن طولون على الأرجح ، وجدد بناءه السلطان صلاح الدين الأيوبي ، ثم السلطان الظاهر بيبرس ، ويسميه الأوروبيون سور العرب . وكان طوله الدائرى ٧٨٩٢ مترا ، ويتخلله مائة برج، وبعض هذه الأبراج غاية فى الفخامة والمناعة ولا فرق بينها وبين القلاع الحصينة ، وهو الذى امتنع به الاسكندريون عند هجوم الجيش الفرنسى على المدينة . ويحدد هذا السور حدود عمرانها فى عهد الدول الطولونية والأيوبيه والمملوكية ، وهو نصف ما كان يحده سور البطالمة القديم . ومع ذلك فان هذا السور

فى عهد البكوات المماليك، ومع تقلص عمران المدينة ،
لم يكن يحيط الا بفضاء عظيم من الخرائب الخالية من
المساكن ، يسير فيه الانسان عدة ساعات دون أن يرى
من معالم العمران سوى الأطلال الدراسة ، ولم يبق به
الا صهاريج المياه وأربعة كفور يسكنها خدام البساتين
التي بداخل السور وحراس القلاع والأبراج . وكان
معظم هذه الأبراج متخريا، وفى السور ثغرات وفتحات
بسبب الاهمال وسوء الادارة . وبه خمسة أبواب :
اثنان يطلان على واجهة المدينة فى الشمال . وواحد
فى الشرق . وهو « باب رشيد » ، والثالث فى الجنوب،
وهو باب سدره . والخامس فى الغرب يؤدى الى الميناء
الغربى عن طريق الحصن المثلث . وتركز العمران
فى الجزء الشمالى المحصور بين الميناءين .

وفى عهد الحملة الفرنسية كانت الاسكندرية قد
انعزلت عن القاهرة وداخلية البلاد ، بسبب جفاف
ترعة الاسكندرية وتوقف الملاحة فيها بعد أن كانت
طريق المواصلات النيلية الى الثغر . وكانت ترعة
الاسكندرية موجودة فى عهد الفراعنة . مع اختلاف
فى التخطيط ، وقد عنى بها البطالمة لأهميتها التجارية
للالسكندرية حيث كانت طريق الملاحة بينها وبين النيل .
وفى سنة ٨٧٢ - ٨٧٣م أمر أحمد بن طولون بحفرها
بتخطيطها الذى صارت اليه ، ثم جدد السلطان الظاهر
بيبرس حفرها ، كما جدد حفرها السلطان الناصر

محمد بن قلاوون ، واشتغل فى حفرها وتطهيرها
٤٠٠ ر٠٠ عامل - وأقيمت عليها القناطر والسدود ،
وجرت فيها السفن طول السنة ، واستغنى أهل
الاسكندرية عن شرب ماء الصحاريج ، وعمرت الأراضى
والبلاد على جانبيها ثم أهمل الولاة الأتراك والبكوات
الماليك شأن هذه الترعة ، حتى جفت ، وارتفع قاعها
عن ضعف عمقها الأصلي ، فكان لا يدخلها الماء فى معظم
السنين الا فى وقت زيادة النيل ثم تجف بقية السنة .
وكان أهل الاسكندرية يحتفلون بمجىء مياه الترعة
ويخزنون الماء فى الصحاريج ويبتهجون بذلك كما
يبتهج سكان القاهرة بمهرجان وفاء النيل . وفى عهد
الحملة الفرنسية بلغ عدد صحاريج الاسكندرية ٣٠٨ ،
وكانت تسع من المياه ما يكفى المدينة مدة ثمانية عشر
شهرا . وقد كان بسبب جفاف مياه ترعة الاسكندرية
أن كانت المتاجر الأوروبية تصل اليها من ثغور
البندقية ومارسليا وثنور السلطنة العثمانية ، ثم
تنقل منها الى رشيد بحرا فى المراكب المصرية المعدة
للملاحة فى النيل ، وتمضى فى فرع رشيد الى
القاهرة .

وقد وصف جراتيان لويير صحاريج تخزين المياه
بأنها منشآت بنيت تحت الأرض ، ولها قباب تدعمها
عواميد على شكل قناطر مقوسة من طابقين أو ثلاثة

طوابق ، جدرانها الداخلية مطلية بطبقة سميكة من
الأسمنت الأحمر المسطح ، الذى لا تنفذ من مسامه
المياه ، وقد أنشئت على قيعان متفاوتة الارتفاع ،
ولكنها على الدوام أدنى من سطح البحر بحوالى ٥ - ٦
أمتار ، وهى واسعة وعميقة ومتعددة الفتحات . وكان
عدد هذه الصهاريج قبل مجيء الحملة الفرنسية ببضع
سنوات يصل لحوالى ٣٨٠ - ٤٠٠ ، لكنه بسبب الاهتال
فى الصيانة وصل الى ٣٠٨ كما ذكرنا .

وعلى الرغم من أن عدد الحمامات فى مدينة
الاسكندرية فى الماضى كان هائلا ، الا أنه تناقص فى
عهد الحملة الفرنسية الى حمامين أو ثلاثة فى كل
أطلال المدينة ، وكان واحد منها مفتوح للعمامة ، وهو
يشبه كل الحمامات المفتوحة للعمامة فى القاهرة وسائر
المدن المصرية .

ومن المنشآت التى جذبت الاهتمام مسلتان من
الحجر الجرانيتى عرفتا باسم مسلتى كليوباترة ،
احدهما مقلوبة ، والأخرى قائمة ، وحجماهما
متماثلان ، وكان ارتفاع المسلة المقلوبة حتى القمة
الهرمية هو ١٨ر٥١٦ مترا وعرضها ٢ر٣٨٢ مترا
وفقا لقياس جراتيان لويير ، الذى يتحدث عن نزح
المسلات من مصر على يد أباطرة الشرق والغرب من

القسطنطينية الى روما ، ويقول انه فى رحلته الى روما
أحصى حوالى ١٠ الى ١١ مسلة ارتفعت فى زهو لتتحدث
عن أمجاد روما .

كذلك وجد من هذه المنشآت عمود السوارى ، الذى
كان معروفا الى ذلك الحين باسم عمود بومبى ، وسط
أطلال معبد السراييوم ، وقد أقامه أهل الاسكندرية
بأنفسهم وأهدوه الى الامبراطور الرومانى دقلديانوس
تقديرًا منهم لانقاذهم من إحدى المجاعات . وكان الهدف
من اقامته أن يستعمل دليلا للسفن التى يمكنها أن
تلمح على بعد يزيد على فرسخين .

وقد عثر بين كثير من الخرائب على ديرين ومعبد
يهودى . أما المعبد فكان يقع بالقرب والى الجنوب من
مسلى كليباترة ، وتقع مقابرهم الى ما وراء المدينة
الخربة الى الشرق من برج الرومان . والى الشرق من
المعبد يوجد دير يونانى . وفى وسط المدينة الخربة
يوجد دير آخر للمسيحيين الكاثوليك . كذلك وجد
مسجدان : الأول هو جامع السبعين ، والمسجد الثانى
هو جامع سانت أثناز ، وكان فى أصله كنيسة بنيت
فى نهاية القرن الثالث على يد الأسقف سانت أثناز ، ثم
حولها العرب الى مسجد بعد أن أصبحت كنيسة
القيصرون أو الكيزاريوم Coes-arium هى الكنيسة

الرئيسية ، وسمى هذا المسجد بالجامع الغربى أو جامع الألف عامود - ويحتوى هذا المسجد على رواق بالغ القيمة وبه حوض من الرخام الصناعى الأخضر ، وقد ظل مجهولا حتى مجيء الحملة الفرنسية التى كانت تنوى نقله الى فرنسا لولا تطور الأحداث .

وعلى شاطئ الميناءين الشرقى والغربى كانت توجد بعض الأرصفة البحرية لتسهيل عملية الابحار ، فضلا عن المحال والمباني الأخرى المرتبطة بخدمة ورش اصلاح السفن ، والتى كانت فى حالة من الاهمال والخراب يشهدان على روح اللامبالاة من جانب الحكومة التركية التى تركت كل شئ يتآكل وينهار دون ترميم أو صيانة .

وقد بنيت فى الاسكندرية بعض السفن التجارية الكبرى ، وسفن الكرافيل ، وهى نوع من الفرقاطات التركية المزودة بـ ٤٠ الى ٥٠ مدفعا ، والمراكب التجارية التى تقوم بالتجارة ونقل البضائع بين المدن الساحلية أما طبقة السكان التى تعمل فى خدمة البحرية ، فكانت تسكن شواطئ الميناءين ، وبالذات الشواطئ الواقعة الى الجنوب من شبه جزيرة فاروس - أما أهل الاسكندرية الذين يعملون بالصيد أو بالتجارة الساحلية فكانوا بحارة شديدى المراس وغطاسون ذوو مهارة .

وقبل مجيء الحملة الفرنسية الى مصر كانت
الاسكندرية تضم - حسبما يذكر أوليفيه Olivier
٨٨ مسجدا ، من بينها ٣٦ مسجدا من الدرجة الأولى ،
و ٤٢ من الدرجة الثانية ، و ٢٠٠ نول لصنع المنسوجات
الحريرية الخفيفة والخاصة بملابس الطبقة الثرية من
كلا الجنسين ، و ٤٠٠ نول لنسج قماش التيل الذى
يرتديه أبناء الطبقات الشعبية ، و ٥٠ نولا لصنع
منسوجات صوفية لملايس العريان ، و ٣٠ مصنعا
للمصابون تستورد الزيوت اللازمة لها من شبه جزيرة
المورة وكريت وسوريا - كما كان يصنع فى الاسكندرية
أيضا الجلد المراكشى الأحمر - وهى جلود ثمينة بالغة
الجودة .

وكان تعداد شعب الاسكندرية أثناء فترة وجود
الحملة الفرنسية يبلغ - وفقا لجراتيان لوبير - ثمانية
آلاف نسمة ، وقد تناقص الى سبعة آلاف فقط عند
جلاء الفرنسيين - ويتكون هذا الشعب من مصريين ،
ومن أتراك وعرب ومغاربة وأروام وسوريين ويهود، ومن
بعض المسيحيين من الأوروبيين - وقد نقص هذا العدد
الى سبعة آلاف عند جلاء الفرنسيين ، بسبب اضطراب
الأحوال فى الاسكندرية عقب الاحتلال الفرنسى ،
وكثرة ما فرضه الفرنسيون من الغرامات والمصادرات،
والى الحصار البحرى الذى ضربه الانجليز عليها ، ثم

ركود حركة التجارة وظهور وباء الطاعون الدمل
فيها ، الذى كان يأتيا كل عام .

ومن الواضح أن الاسكندرية كانت قد فقدت
أهميتها العلمية ، فلم يظهر بها عدد يعتد به من العلماء
المبرزين كما كان الحال فى القاهرة التى كان فيها
الجامع الأزهر . بل ان بعض علماء الاسكندرية كانوا
ينهبون سنويا الى الجامع الأزهر للدراسة ، فيتحدث
المراى فى كتابه عن « اعيان القرن الثامن عشر » أن
الشيخ على الأسمر ، العالم الفقيه ، كان « كل سنة
يأتى من اسكندرية بعد عيد الفطر الى الجامع الأزهر
يدرس به ثم يرجع الى بلده فى أول الثلاثة أشهر » .

وفى الوقت نفسه لم تكن الاسكندرية خالية من
القلق والاضطرابات التى كان يمتلئ بها ذلك العهد -
فيذكر الجبرتي عن أحداث عام ١٧٨٤ أنه حدث
بالاسكندرية شغب وفتنة بين أهل البلد وأغات القلعة
والسردار ، بسبب قتل من أهل البلد قتله بعض أتباع
السردار ، فثار العامة ، وقبضوا على السردار، وأهانوه
وجرسوه على حمار ، وحلقوا نصف لحيته ، وطافوا به
البلد وهو مكشوف الرأس وهم يضربونه ويصفعونه
بالنعال .

ويدل تاريخ الفتن والثورات فى مصر اليونانية
على أن سوق الحكام المكروهين على حمير فى شوارع

الاسكندرية واهانتهم على هذا النحو كان من الطقوس التقليدية المصاحبة لفتن الاسكندرية وثوراتها .

وقد دهش الفرنسيون لمنظر سكان الاسكندرية الذى خالف ما كان منطلعا فى أذهانهم - كتب يونايرت الى حكومة الادارة يقول : « هذه الأمة تختلف كل الاختلاف عن الفكرة التى أخذناها عنها من رحالتنا . انها أمة هادئة باسلة ، معتزة بنفسها » - وكتب أخوه لوى فى خطاب لجوزيف يونايرت يؤمن على هذا الرأى ويقول :

« ان فى الشعب رباطة جأش مدهشة ، فلا شيء يهزمهم ، وليس الموت عندهم أكثر من رحلة عبر المحيط عند الرحل الانجليزى ، أما طلعتهم قمهية ، وإذا قارنا طلعتنا ، حتى أقواها وأبرزها ملامح ، يطلعتهم فانها سوف تبدو كطلعة أطفال » -

أما بالنسبة لأزياء الأهالى ، فقد كتب أحد الجنود الفرنسيين يقول انه « قد يبدو زى الأهالى لأول وهلة عديم الشكل ، ولكنى بعد أن تأملتة جيدا أدركت أنه أكثر مهابة من زينا . فهم يحلقون رؤوسهم ، ويلبسون طاقية حمراء صغيرة يسمونها بالعربية « طريوشا » ، ويطوون حولها عمامة خمس أو ست طيات . ويرتدون عدة قفاطين فضفاضة من الحرير أو القماش ، بعضها فوق بعض ، وكلها طويلة يصل الى الكعب كاثواب

الكهان • أما سيقانهم ، وأرجلهم فى الغالب ، فعارية ،
وهم يطلقون لحاهم فتطول وتضفى على شيوخهم مهابة
وجلالا • وكان هؤلاء الرجال يتفقدون سحابة نهارهم
جالسين على عتبات دورهم ، أو فى المقاهى ، ويحتسون
القهوة ، ويترفعون عن العمل •

على أن منظر النساء لم يعجب الفرنسيين ، خصوصا
نساء الطبقة الدنيا ، اللاتى كن يرتدين جلبابا واحدا ،
أزرق فى العادة ، ويسرن حافيات الأقدام عاريات
السيقان ، ويلطخن حواجبهن بالكحل ، وأظافرهن
بالحناء ، ويكشفن فى مرح عن أى عضو من أعضائهن
الا وجوههن أما الأطفال فعراة •

بدأ غزو بوناپرت للاسكندرية فى ليلة ٢ يولية
سنة ١٧٩٨ ، وكانت الجهة التى نزل اليها الجنود هى
جهة المعجمى التى تبعد عن الاسكندرية غربا نحو اثنى
عشر كيلو مترا • وفى نحو الساعة الثانية من صبيحة
يوم ٢ يولية كان عدد الذين نزلوا الى البر قد بلغ نحو
خمسة آلاف جندى من فرق الجنرالات : كليبر Bonaparte
وبون Bonaparte ومينو Menou • وفى منتصف
الساعة الثالثة زحفت هذه القوات على الاسكندرية
يحداء الشاطئ لتصل الى أسوار المدينة عند شروق
الشمس ، وتأخذ فى حصارها •

كانت الحملة الفرنسية مكونة من ٥٥ مركبا
حربيا، و ٢٨٠ نقالة تحمل ٣٦٨٢٦ جنديا ، فيما عدا
الخيول والمدافع . كما كانت تضم اليها جماعة كبيرة من
صفوة علماء فرنسا - وكانت قد غادرت طولون ظهر
يوم ١٩ مايو ، واستولت على مالطة يوم ١٠ يونية .
وغادرتها الى الاسكندرية يوم ١٩ يونية - وعندما علم
بونابرت بأن الأسطول الانجليزى يطارده لم يتبع فى
طريقه الى الاسكندرية خطا مستقيما ، بل توجه الى
كريت ليصلها فى ٢٥ يونية ، وفى ٢٦ يونية اتخذت
الحملة طريقها الى الاسكندرية لتصل الى مياهها يوم
٣٠ يونية .

وكان قد سبق وصول الحملة الفرنسية الى
الاسكندرية قدوم الأسطول الانجليزى بقيادة الأميرال
نلسون Nelson الى الاسكندرية للتفتيش عن
الأسطول الفرنسى ، وأرسل قاربا به عشرة ضباط الى
البر ، حيث قابل السيد محمد كريم ، حاكم الاسكندرية،
وبعض كبار البلد ، وأخبروهم بأن الفرنسيين قد
يهاجمون مصر ، وطلبوا السماح للأسطول الانجليزى
بالوقوف فى البحر للتصدى للأسطول الفرنسى عند
قدومه . ولكن السيد محمد كريم تشكك فى أقوالهم،
ورفض عرضهم ، على أساس أن الفرنسيين ليست بينهم
وبين الدولة العثمانية ، صاحبة السيادة على مصر ،

عداوة ، ولم يفعل المصريون ما يستوجب عداؤهم ،
وبالتالى فيستبعد قدومهم الى مصر .

ولم يجد الأسطول الانجليزى بدا من مغادرة مياه
الاسكندرية يوم ٢٩ يونية .

على أن هذه الأخبار أحدثت هياجا داخل
الاسكندرية . فمئذ احتلال الفرنسيين مالطة سرت
الاشاعات بأن « الافرنج » يعتزمون احتلال مصر ،
وكلمة « الافرنج » كانت تتناول الفرنسيين والأوربيين
على السواء ، مع أن الاشاعات كانت تحدد الفرنسيين
بالذات . الا أن محمد كريم عندما رأى الأسطول
الانجليزى خشى أن يكون الانجليز هم الذين يريدون
مصر ، ورفض بقاءهم فى مياه الاسكندرية ، ففقد
فرصة تاريخية نادرة لحماية مصر من الغزو الفرنسى .

على أن زيارة الأسطول الانجليزى لمصر أفادت فقط
فى أن الاسكندرية لم تفاجأ بالغزو ، بل أخذت تستعد
للمقاومة ، عن طريق تحصين القلاع وزيادة عدد الجنود
بالمطوعين . وفى ذلك يقول انكولونيل سلكوسكى
Sulkowsky أحد ضباط الحملة الفرنسية :
« وصلت منذ شهرين عن طريق الاستانة أنباء الحملة ،
فأخذ الأمراء (المماليك) يستعدون ، ولا نعلم الى أى
حد بلغ استعدادهم ، ولكن الخبر الذى أزعجتنا هو قدوم
الأسطول الانجليزى الى الاسكندرية ، ومصادرتة اياها

قبل وصولنا ، وقد انزعجت له البلاد ، وظنه الناس
أسطول الفرنسيين الذين يتوقعون حضورهم منذ مدة .
ومن يومئذ أخذ جميع الأهالي يعدون العدة للمقاومة ،
فحملوا السلاح ، انضم اليهم المنارية من ضواحي النفر ،
وتحصنوا بالأسوار ، بينما كان اربعمائة من الفرسان
يجوبون الضواحي استعدادا للقتال ، ولم يمكث الانجليز
بمياه الاسكندرية الا يوما واحدا ثم غادروها .

وهذا ما عرفه الجنرال بوناپرت من القنصل
الفرنسي بالاسكندرية قبل انزال قواته ، فعندما اقترب
الأسطول الفرنسي من الاسكندرية ، أرسل بوناپرت
السفينة « جيتون » Jaton لاستدعاء القنصل الفرنسي
لاخبار الفرنسيين بقدوم الحملة ، وعادت السفينة
بالقنصل ، الذي روى لبوناپرت « وقد خالطه الرعب
بعد أن نبأ من القتل على يد الشعب الهائج ، انه عندما
قدم الأسطول الانجليزى للتفتيش عن الأسطول
الفرنسي » ، ظنه الأهالي فرنسيا فانفجر بركان
الهياج في البلاد كلها لشعورهم باقترابنا ، وكانوا
يتوقعون ذلك من يوم أن علموا باحتلالنا لمالطة ، وقد
استعدوا للمقاومة ، فأخذوا يحصنون القلاع ويزيدون
عدد المتطوعين ، يجمعون جيشا من العرب ، وأن حاكم
الاسكندرية لم يأذن للقنصل بالمقابلة الا مصحوبا
بجماعة من بحارة الاسكندرية ، وعهد اليهم ارجاعه الى
الشاطئ .

وهذا هو السبب فى قرار بونايرت بسرعة انزال جنوده فى ليلة ٢ يولية ١٧٩٨ ، قبل أن يباغت بالأسطول الانجليزى ، وبأن تسارع هذه القوات الى الزحف على الاسكندرية لتفاجيء السكندريين قبل أن يجدوا وقتا للتنظيم الدفاع عن المدينة . وقد وصلت القوات الى سور الاسكندرية عند شروق الشمس كما ذكرنا ، واتخذ بونايرت من قاعدة عمود السوارى معسكره العام يرقب منها حركة الهجوم ويصدر أوامره لقادة جيشه .

أما أهالى الاسكندرية فمنذ أن ظهر الأسطول الفرنسى فى البحر عند غروب الشمس ، دب فيهم الرعب ، وتولاهم الفزع عندما رأوا وجه البحر تقطيه المراكب . فبادر حاكم المدينة محمد كريم الى اخبار مراد بك فى القاهرة بقدوم الحملة . وطلب اليه ارسال نجداته . وفى الوقت نفسه شرع فى اعداد المدينة للدفاع عن نفسها ، عن طريق تحصين أسوارها ثم نقل الميرة والذخيرة الى القلاع ، ووضع المدافع العتيقة على الأسوار استعدادا للمقاومة ، وعهد الى جماعة من الفرسان بمناوشة القوات الفرنسية عند اقترابها ، فحدثت مناوشات بينهم وبين الفرنسيين ارتد على أثرها العرب جنوبا ، وتابع الفرنسيون زحفهم على المدينة . واحتشد الأهالى يحملون السلاح على الأسوار وفى الأبراج التى تتخللها للدفاع .

وقد قسم بونايرت قواته الى ثلاث فرق الأولى الى الغرب تجاه الحصن المثلث ، وهى فرقة الجنرال مينو ، والثانية فى الجنوب أمام باب سدره ، وهى فرقة الجنرال كليبر ، والثالثة فى الشرق أمام باب رشيد وهى فرقة الجنرال بون . ومع أن الأسوار كانت ضعيفة فى كثير من أجزائها ، وبها ثغرات كبيرة رمت حديثا بمجلة ، الا أنه كان من المسير احداث ثغرة كافية فيها بدون استخدام المدافع ، وبينما كان الفرنسيون يحنولون تسلقها قذفهم المدافعون بوابل من الأحجار والرصاص ، وقاومت الأبراج مقاومة عنيفة ، وأصيب الجنرال كليبر الذى كان يصدر تعليماته لرجاله من أسفل السور بجرح شديد من رصاصة فوق الحاجب ، كما أصيب الجنرال مينو بسبعة جروح من الأحجار المتساقطة ، ويندر أن يصاب قائدان هذه الاصابات فى الدقائق الخمس الأولى فى أية حملة حربية . على أن هذه المرحلة انتهت مريعا ، فقد اقتحم الجنود الأسوار ، وتقهقرت المقاومة الى داخل المدينة تتبعها القوات المهاجمة التى وصلت الى المناطق السكنية ، حيث نشب القتال فى شوارع المدينة وانهال الرصاص من نوافذ وأسطح البيوت على المهاجمين ، فيؤخذ من تقرير بونايرت الى حكومة الادارة أن « كل بيت كان قلعة » ، وعندما ظن جنود الحملة أن المدينة استسلمت اذا بالرصاص ينهال على فريق منهم وهم يمرون أمام أحد

المساجد ، وأمر قائد المجموعة باقتحام المسجد والقضاء على من فيه ، فهلك الرجل والنساء والأطفال بحد السونكى ، ولم يبق الا ثلث المدافعين • وكذا بونابرت نفسه يفقد حياته حين كان يمر فى زقاق لا يتسع لمرور أكثر من رجلين ، فأطلق احد القناصة النار عليه من نافذة أحد البيوت ، ورد الجند بإطلاق النار ، وتسلق غيرهم الى داخل البيت عن طريق الأسطح ، فوجدوا القناصة رجلا وامراة ، فقتلوهما فى الحال • وفى ذلك الحين كان السيد محمد كريم يدافع داخل قلعة قايتباى التى كان يتولى القيادة فيها ، وقد استمر فى المقاومة الى ساعة متاخرة من الليل الى أن كلت قواه ورأى ان المقاومة لا تجدى ، فكف عن القتال •

فى ذلك الحين وازاء ما كان واضحا من تفوق الفرنسيين عرض قائد السفينة العثمانية التى كانت راسية بالشعر ، وهو ادريس بك ، خدماته للتوسط فى تسليم المدينة ، وكان بونابرت قبل هجومه على الاسكندرية قد أرسل الى الوالى العثمانى أبو بكر باشا والى ادريس بك رسالتين يعرب فيهما عن مقاصده الودية نحو السلطان ويعلن أنه انما قدم لمحاربة المماليك • وقد توسط ادريس بك بالفعل فى تسليم المدينة ، وكلفه بونابرت بأن يخبر الشيوخ والعلماء والأعيان أن المزيد من المقاومة سيضطره الى القضاء عليهم • وما لبث أن حضر قبيل الظهر وقد الى مقر القيادة عند عمود

السوارى لتسليم المدينة ، وأعلن محمد كريم استسلامه للفتاح . وراى بونايرت أنه من حسن السياسة أن يكون كريما ، فتلقى محمد كريم لقاء كريما ، وغفر له مقاومته للهجوم ، وثبته حاكما على الاسكندرية ، ووكل اليه حفظ النظام وتموين الفرنسيين .

وقد أجمعت تقارير قادة الحملة على شجاعة الأهالى فى الدفاع عن الاسكندرية . فقد كتب الجنرال برتية **Berthier** رئيس أركان الحملة الفرنسية ، فى رسالته الى وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ ٦ يولية ١٧٩٨ يقول ان الأهالى « دافعوا عن أسوار المدينة دفاع المستميت ، وقد أصيب فى هذه الموقعة الجنرال كليبر بعيار نارى فى جبهته ، فجرحا جرحا بليفا ، وأصيب الجنرال مينو بضربة حجر أسقطته من أعلى السور ، فنالته رضوض شديدة ، وأصيب الأنجودان جنرال امسكال **Escale** بجرح بليغ فى ذراعه من عيار نارى ، وقتل الجنرال ماس **Mass** وخمسة ضباط آخرون » . وكتب مينو الى بونايرت يقول : « ان الجنود يستحقون الثناء العظيم على ما بذلوه من الاقدام والهمة والذكاء وسط المخاطر العظيمة التى كانت تحيط بهم ، لأن الأعداء (الأهالى) قد دافعوا عن المدينة بشجاعة كبيرة وثبات عظيم » . وقد قدر بونايرت خسائر الجيش الفرنسى فى مهاجمة الاسكندرية فى رسالته الى حكومة الديركتوار بثلاثين قتيلًا ، وثمانين الى مائة جريح .

وقدرها بعد ذلك في مذكراته بثلاثمائة ما بين قتيئل وجريح ، وأمر بدفن قتلى الفرنسيين حول عمود السواري ، باحتفال عسكري كبير ، ونقشت أسماؤهم على قاعدة العمود .

كانت الاسكندرية أول مدينة مصرية احتلها بونايرت ، وهي في نفس الوقت أول مدينة عربية اسلامية من بلاد الدولة العثمانية تتعرض لغزو عسكري أوربي مسيحي في التاريخ الحديث ، كما أنها تنتمي لحضارة شرقية قديمة تختلف اختلافا من حضارة الشعوب الأوروبية التي عرفها بونايرت . ولذلك عنى بونايرت برسم سياسة تضمن له اجتذاب قلوب أهلها وأهل مصر ، وذلك من قبل أن تطأ قدمه أرض الاسكندرية ، فأعد منشورا لأهل البلاد يوم ٢٧ يونية ١٧٩٨ على ظهر بارجة القيادة *L'orient* وصاغه في قالبه العربي جماعة المستشرقين والتراجمة الذين أحضرهم معه ، وطبع على ظهر البارجة بالمطبعة العربية التي جاء بها ، فكان أول وثيقة عربية طبعت على هذه المطبعة ، وأمر قبل مغادرته الاسكندرية أن تنقل المطبعة العربية والمطبعتان اليونانية والفرنسية من البارجة الى منزل قنصل البندقية بالاسكندرية ، وأن تهيأ هذه المطابع بحيث تكون معدة للعمل في ثمان وأربعين ساعة ، وأن يطبع على المطبعة العربية أربعة آلاف نسخة من المنشور .

ويحمل هذا المنشور تاريخ ٢ يولية ١٧٩٨ ، وهو يوم احتلاله للاسكندرية ، وكان المنشور معدا ومطبوعا على المطبعة العربية قبل رسو الأسطول الفرنسى .

وقد أعلن بوناپرت فى هذا المنشور أنه لم يأت لمحاربة السلطان العثمانى ، وانما أتى لمحاربة السناجق - أى الممالك حكيم المديرىات ، عقابا لهم على معاملتهم الفرنسيين بالاذلال والاحتقار واعتدائهم على تجارهم .

وذكر المصريين بالمظالم التى يرتكبها هؤلاء الممالك الغرباء المجلوبين من « الأبازة » - أى من جورجيا والقوقاز ، وكذب ما يشيعونه من أنه نزل بمصر بقصد ازالة الدين الاسلامى ، قائلا ان ذلك كذب صريح فلا تصدقوه ، وقولوا للمفترين اننى ما قدمت اليكم الا لأخلص حقكم من يد الظالمين ، واننى أكثر من الممالك أعبد الله سبحانه وتعالى ، وأحترم نبيه العظيم والقرآن العظيم » . ثم أخذ بوناپرت يبشر بمبادئ الثورة الفرنسية فى المساواة قائلا : « ان جميع الناس متساوون عند الله ، وان الشئ الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط » ، وسخر من الممالك قائلا ان بينهم وبين العقل والفضائل تضارب ، ولا يوجد ما يستوجب أن يملكوا به مصر وحدهم ، « ويختصوا بكل شئ أحسن فيها ، من الجوارى الحسن والخيل العتاق والمساكن المفرحة » . ومن هنا وعد أن ينتقل ذلك كله الى المصريين : « من الآن

فصاعدا لا ييأس أحد من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية ، وعن اكتساب المراتب العالية ، فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم سيدبرون الأمور ، وبذلك يصلح حال الأمة كلها » . ثم ذكر المصريين بمجدهم القديم قائلا : « سابقا كان فى الأراضى المصرية المدن العظيمة والخلجان (الترع) الواسعة والمتجر المتكاثر ، وما أزال ذلك كله الا الظلم والطمع من الممالك » .

وطالب المنشور المشايخ والقضاة والأئمة والأعيان البلد بأن يقولوا لأمتهم « ان الفرنسيين هم أيضا مسلمون مخلصون » ، وان دليل ذلك أنهم خربوا كرمى البابا فى روما ، وهو الذى كان يحث النصرانى على معاربة الاسلام ، كما أنهم أزالوا من مالطة حكم « الفرسان » (فرسان القديس يوحنا الذين كانوا يحكمونها من أيام الامبراطور شارل الخامس) والذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين .

كانت أهمية منشور بوناپرت الذى أذيع فى الاسكندرية يوم ٢ يولية ١٧٨٩ أنه كان أول منشور لفاتح أجنبى يتحدث عن حكم المصريين أنفسهم بأنفسهم ، كما أنه أول منشور يستثير الروح القومية المصرية بما أشاد من مكانة مصر وعظمتها السابقة .

وفيما يبدو أنه أحدث تأثيرا كبيرا ، اذ بعد اصدار المنشور كتب الجنرال ديزيه Desaix يطلب مزيدا من النسخ قائلا : « ان المنشور يحدث تأثيرا كبيرا » . على أن بوناپرت نفسه اعتبر المنشور - وهو يعقب عليه في منفاه بسانت هيلانة : « قطعة من الدجل ، ولكنه دجل على أعلى مستوى » !

وقد سحب توزيع المنشور محاولة بوناپرت اجتذاب الأهالي ، فقد باتر عقب احتلاله الاسكندرية الى دعوة مشايخ المدينة وأعيانها لمقابلته ، وفي هذه المقابلة أعرب لهم عن تمنيه للشعب المصري بالسعادة والرفاهية ، وطارحهم الرأي في اصلاح البلاد ، وطمأنهم على حياتهم وأموالهم طالما لا يحاربون الجيش الفرنسي ، ورد الى السيد محمد كريم سلاحه ، وقال له في مجلس من أعيان المدينة : « لقد أخذتك وسلاحك في يدك ، وكان لي أن أعاملك معاملة الأسير ، ولكنك استبسلت في الدفاع عن المدينة ، والشجاعة متلازمة مع الشرف ، ولذلك فاني أعيد اليك سلاحك ، وأمل أن تبدي للجمهورية الفرنسية من الاخلاص ما كنت تبديه للحكومة السيئة السابقة » !

وبعد احتلال الاسكندرية بيوم واحد أصدر الجنرال برتويه ، رئيس أركان الحرب ، أمرا يتضمن تعليمات القائد العام في هذا الصدد ، وأهمها أن

القائد العام « يريد أن يستمر الأهالي يؤدون شعائرتهم الدينية في المساجد كما كانوا من قبل ، ويحظر على الفرنسيين جميعاً من عسكريين ومدنيين دخول المساجد أو الاجتماع على أبوابها » وأمر ضباط الفرق بأن يتلوا هذا الأمر على جنودهم ، وأن يمددوا تلاوة أمر القائد العام الخاص بمعاينة النهب والتعدي على النساء ، وأن يعدموا رمياً بالرصاص كل من يخالف هذه الأوامر - وأن يدفع كل جندي ثمن ما يبتاعه في المدينة ، وأن يحافظوا على أموال الأهالي وكرامتهم . وعلينا أن نكتسب صداقتهم والا نعادي سوى المماليك »

وقد كان نتيجة لمقابلة بونايرت مع زعماء الأهالي أن كتبت يوم ٤ يواية وثيقة بالعهود التي أخذها الفريقان كل منهما على الآخر ، ويمضي على النحو الآتي :

« هذا ما تم الاتفاق عليه بين أعيان الاسكندرية الموقعين بأسمائهم وبين رئيس الأمة الفرنسية والقائد العام للجيش المعسكر بالمدينة :

« يستمر الأعيان على العمل بقوانينهم ، والقيام بشعائرتهم الدينية ، وفض المنازعات بينهم مع مراعاة العدل والابتعاد عن مسالك الهوى » ولهم أن يختاروا القاضى الذى يتولى القضاء فى محكمة الشرع من خيار العلماء المشهود لهم بالاستقامة والتقوى ، وعليه أن

لا يقضى فى أمر الا بعد الرجوع الى رأى مجلس
العلماء .

« ويجتهد الموقعون على هذا فى اقامة العدل ،
ويبذلون ما فى وسعهم لتحقيق هذا الغرض ، وسيعملون
جهودهم لما فيه صالح البلاد وتوفير أسباب السعادة
للأهالى ، ومحاربة الأشرار والمفسدين . ويتمهدون
كذلك ألا يخونوا الجيش الفرنسى ، وألا يعملوا عملا
يضر مصالحه ، وألا يشتركوا فى مؤامرة تدبر ضده » .

« وتعهد لهم القائد العام من جهته بأن يمنع كل
جندى من جنوده من التعدى على الأهلى الاسكندرية ،
ويعلن أن من يرتكب من الجنود عدوانا أو ظلما ينكل
به ويماقب بأشد أنواع العقوبة . ويتعهد القائد العام
علنا ألا يجبر أيا من الأهالى على تغيير دينه وتغيير
شعائره الدينية ، فان مقصده هو اقرار الأهالى فى
دينهم واطمئنانهم على أنفسهم وأموالهم ، وسيبذل فى
هذا السبيل كل ما لديه من قوة ، ماداموا لا يقصدون
به ولا بجيشه سوءا » .

وقد وقع على الميثاق كل من الأسماء الآتية : ابراهيم
البرجى مفتى الحنفية ، وسليمان الكلاف مفتى المالكية ،
ومحمد المسيرى ، وأحمد عبد الله الشافعى ، وحسن
كانيد ، وعباس القويضى ، ومصطفى محمد » .

وقد كان على بونا بورت بعد ذلك أن يسارع بالزحف على القاهرة قبل أن يحين موعد الفيضان الذى يجعل المنطقة مستحيلة العبور اذا انتصف شهر أغسطس ، فاصدر فى ٣ يوليو أمره الى فرقة الجنرال ديزيه ببدء الزحف على دمنهور ، ثم تبعته فرقة رينييه Reynier فى ٥ يوليو ، وتقرر أن تتلو الفرقتين الفرق الثلاث الباقية فى اليومين التاليين : اثنتان بطريق دمنهور ، والثالثة بطريق رشيد ، وأن يلتقى الجيش كله فى الرحمانية على الفرع الأيسر لدلتا النيل ، وقبل أن يفادر بونا بورت الاسكندرية يوم ٧ يولية عين الجنرال كليبر قائدا وحاكما لدائرة الاسكندرية وضواحيها ، والجنرال مانسكور Manscourt قائدا للموقع ، والسكاپتن لو بلاى Le Pelley قائدا للميناء ، وعهد الى الكولونيل كريتان Cretin بتحصين ثغر الاسكندرية وترميم قلاعه القديمة ، وانشاء قلاع جديدة ، لجعلها بمان من البوارج الانجليزية - وأوصى الجنرال كليبر بأن يبذل كل ما فى وسعه « لاستبقاء العلاقات الحسنة مع الأهالى ، وابداء كل أنواع الاحترام للمفوتين ولرؤساء المشايخ فى المدينة - كما أمر بابقاء محمد كريم حاكما للاسكندرية ، وكتب اليه خطابا يوم مغادرته الاسكندرية يبدى فيه رضاه التام لمسلكه منذ قدوم الجيش الفرنسى ، وأنه يعرب عن هذا الرضاء عنه بتعيينه فى وظيفة محافظ دائرة الاسكندرية - وأبلغه بأنه سوف يتلقى

تعليماته من خلال الجنرال كليبر القائد العام للجهة ،
ولكن له أن يرأسه مباشرة متى شاء .

على أن الأحوال في الاسكندرية لم تلبث أن سارت
في اتجاه معاكس لما كُنْ يتوقع بوناپرت . ذلك أن حالة
الحرب جعلت الاسكندرية في شبه حصار بحري شل
حركة السفن وعطل التجارة ، التي هي أكبر مورد
لثروة الأهالي . ولذلك أخذ الكساد يضرب في المدينة
على نحو أثار التذمر والسخط على الاحتلال الفرنسي ،
وزاد الأمر سوءا أن بوناپرت فرض على المدينة بعد
احتلالها غرامة حرية قدرها ١٥٠ ألف فرنك ، وهي
غرامة باهظة إذا قيست بما كانت عليه المدينة قبل
الغزو من التأخر الاقتصادي ، كما فرض قرضا بضمناً
اضافى من حصيلة الجمارك المنتظر جمعها من الميناء ،
ثم حصل على نقود من التجار المحليين نظير مبانك من
الذهب والفضة ، وجرّد أهل الاسكندرية من السلاح ،
وصدرت الأوامر لهم بأن يضعوا الشارة المثلثة الألوان
دليلاً على ولائهم للجمهورية ، وهو ما كان يجعل منظرها
غريباً فوق عماماتهم ، واختص كبار المشايخ وبضعة
من صفوة الأعيان بلبس الوشاح الأزرق والأحمر
والأبيض شأن العمد الفرنسيين ، وأيضاً بتلقى التحية
العسكرية ، ولكن هذا التمييز لم يمس قلوبهم مساً
عميقاً كما ينبغي ، لأن سيكولوجية شيوخ المسلمين
تختلف عن سيكولوجية الساسة الفرنسيين .

وفى نفس الوقت لم يستطع الجنود الفرنسيين كبح جماح أنفسهم ، فكانوا يخرجون على النظام ويرتكبون السرقات ، الأمر الذى أثار حفيظ الأهالى عليهم ، وقد ذكر كليبر فى رسالة له الى بوناپرت أن بحارة الأسطول قد خربوا ضواحي أبى قير ، فكانوا يسرقون ثمار الأشجار ، ويقطعون النخيل من جذوعه • وفى يوم ١٣ يولية وجد أحد جنود مدفعية الاسطول قتيلا ، وفى الوقت نفسه ألقى فى البحر خادم أحد الضباط فمات غرقا • وترامى الخبر فى المدينة وتحفز الناس للهياج ، وواجه كليبر الموقف بالشدة ، فاعتقل بعض أعيان المدينة بصفة رهائن • واستدعى حاكم المدينة محمد كريم والقاضى الشرعى وكبار الأعيان ، وطلب منهم البحث عن الجناة ومعاقتهم طبقا لقوانين البلاد ، أو يشنق من تقع عليه القرعة من الرهائن فى حالة عدم معاقبة الجانى • وقد تبين أن الجانى ، واسمه السيد أحمد ، قد هرب ، فحوكم غيايبا بالمحكمة الشرعية ، وحكم عليه قاضى الاسكندرية بالقصاص بمحضر جمع من العلماء وأعيان المدينة ، وكتب بذلك اعلام شرعى • وفيما يبدو أن الجنرال كليبر تحقق من أن الجندى القتل قد ارتكب ما يستحق عليه القتل ، لأنه وجه منشورا عقب الحادثة الى الجنود حذرهم فيه من أنهم سوف يستهدفون لأمثال هذه الحوادث اذا لم يلتزموا باحترام أملاك الأهالى وعاداتهم

وديانتهم ، وقرر أن كل من يتسلق بيتا من بيوت المسلمين أو غير المسلمين لأى سبب من الأسباب ، يعد سارقا ويحكم عليه بالاعدام ، وكل من يستخدم الأسلحة النارية فى صيد الحمام داخل المدينة ويعرض حياة الناس للخطر كما حدث من قبل يعد قاتلا ويحكم عليه بالاعدام ، وكل من ينتهك شعائر المسلمين الدينية فى المساجد أثناء صلواتهم أو وضوئهم يعد معرضا على الاخلال بالنظام ويحكم عليه بالاعدام .

على أن روح الكراهية للفرنسيين لم تلبث أن أخذت تسفر عن نفسها ، وتبين ذلك حين أمر كليبر بتسيير كتيبة من الجنود تجوب بعض جهات مديرية البحيرة ، واختار الجنرال ديموى Dumuy فقد هرب الأهالى الجمال حتى لا تستعين بها الكتيبة ، ثم ظهرت الجمال فى اليوم التالى لخروج الكتيبة يوم ١٧ يولية ، وعلى طوال جولة الكتيبة كانت تتعرض للهجوم من الأعراب بشكل يتزايد فى طريقها الى دمنهور ، ولما دخلت المدينة لقيت بها تمردا شديدا ، فاعتزمت الكتيبة العودة الى الاسكندرية وعدم اكمال سيرها الى رشيد ، ووصلت الى الاسكندرية يوم ٢٠ يولية بعد أن خسرت ثلاثين ما بين قتيل وشريد .

وقد لاحظت القيادة الفرنسية أن البلاد التى مرت بها الكتيبة الفرنسية كانت تعلم بقدمها من قبل

وصولها ، كما لاحظوا أن أهالى دمنهور كانوا مستعدين لاستقبالهم بالمقاومة ، الأمر الذى دل على أن مخبرات سرية قد جرت بين الاسكندرية وبين تلك البلاد قبل قيام الكتيبة ، واتجهت شبهاتها الى حاكم المدينة الوطنى محمد كريم ، خصوصا بعد أن اتخذ موقف الدفاع عن الأهالى فى أمر السلفة الاجبارية التى فرضت على تجار الثغر ، لدفعها الى الجيش الفرنسى ، فقد عارض فى قرضها ، وتلكا فى الموافقة عليها ومساعدة السالة الفرنسية فى تحصيلا ، لذلك أمر كليبر بـ«اعتقال محمد كريم ونقله الى ظهر البارجة » لورين « يوم ٢٠ يولية حتى يبت بونايرت فى مصيره » .

وفى نفس يوم الاعتقال جمع كليبر أعيان المدينة ، وطلب اليهم أن يختاروا حاكما للمدينة بدلا من محمد كريم الذى اعتقل للريبة فى اخلاصه للجمهورية الفرنسية - وقد وقع اختيارهم على السيد محمد الشوربجى الغريانى ، ولكن الأخير أبلغ كليبر أن أهالى الاسكندرية يختلفون عن سائر أهالى القطر بأنهم أصعب مراسا وأقرب الى القلق والهياج ، وأبدى له صعوبات ادارة المدينة ، فأقنعه كليبر بالقبول ، وكان الشيخ محمد المسيرى كبير علماء المدينة يعاونه فى عمله . وكان أول عمل طلبه كليبر منهما أن يساعدا فى تحصيل السلفة الاجبارية التى فرضها على تجار

المدينة . فطلبا منه انقاص هذه السلفة ، فأنزل منها خمسة عشر ألف فرنك يحصلها من ايراد الجمر ك -

وقد أقر بونايرت عمل الجنرال كليبر ، وأرسل اليه بتاريخ ٣٠ يولية خطابا من القاهرة يبلغه فيه أنه لا يوافق فقط على اعتقال محمد كريم ، بل انه أمر فوق ذلك باعتقال أشخاص آخرين - وفي نفس اليوم أصدر منشورا عسكريا أعلن فيه استياءه من سلوك أهل الاسكندرية ، وأمر بأن يطلب من جميع الأهالي على اختلاف أجناسهم تسليم أسلحتهم الى قومندان الموقع ، ومن يتأخر منهم عن تنفيذ هذا الأمر بعد ثمان وأربعين ساعة من نشره يجازى بالاعدام ، وأمر بهدم منزل المتهم بقتل الجندي الفرنسى ، واعتقال خمسين شخصا يكونون رهائن ، وحبسهم على ظهر الأسطول الى أن يستوثق من سلوك أهل الاسكندرية - وفي نفس اليوم أصدر أمرا آخر بفرض ضريبة ثلاثمائة ألف فرنك على تجار الاسكندرية ، يحسب منها الثلاثون ألف فرنك التى فرضها الجنرال كليبر ، والباقى يجمع فى ٢٤ ساعة من نشر هذا الأمر -

على أنه فى نفس اليوم كان « برويس » Brueys قائد الأسطول ، يطلق سراح محمد كريم ، ويبعث به الى رشيد ، ليبعث به الجنرال مينو من هناك الى

القاهرة • على أنه لم يكد كريم يصل الى رشيد حتى سارع أهل المدينة الى ملاقاته بالحفاوة والتكريم ، بعد أن عظمت منزلته بسبب اعتقاله • وهنا أعاد مينو القبض عليه ، وكتب الى كليبر يقول : « لقد ألقيت القبض هنا على السيد محمد كريم الذى أطلق سراحه من البارجة » لوريان « ، وسأبحث به غدا الى القاهرة مخفورا بقوة كافية » •

وقد أرسل محمد كريم بالفعل الى القاهرة على سفينة من سفن الجيش أقلعت به من رشيد يوم ٤ أغسطس ، ووصلت يوم ١٢ أغسطس مساء ، وتولى الجنرال ديپوى Dupuy • حاكم القاهرة التحقيق ، فاستجوبه فى التهمة الموجهة اليه ، وهى مراسلته لمراد بك وغيره من المماليك وعرب البحيرة ، وانتهى التحقيق الى اثبات التهمة عليه ، وأصدر بونابرت أمره فى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٧٩٨ بأعدامه رميا بالرصاص ، ومصادرة أملاكه وأمواله ، وسمح له بأن يفتدى نفسه بدفع غرامة ثلاثين ألف ريال فى أربع وعشرين ساعة • فلم يقبل محمد كريم دفع هذا المبلغ ، وأظهر جلدا وشجاعة عند الاعدام • وقد نصحه المستشرق فانتور Venture كبير تراجمة الحملة الفرنسية بأن يدفع الغرامة ، وقال له : « انك رجل غنى ، فماذا يضريك أن تفتدى نفسك بهذا المبلغ » ، فأجابه محمد كريم : « اذا كان مقدورا أن أموت ،

فلا يعصمنى من الموت أن أدفع المبلغ ، وإذا كان مقدرا
لى الحياة ، فعلام أدفعه ؟ » - وظل على اصراره الى ان
نفذ فيه الحكم رميا بالرصاص فى ميدان الرميطة يوم
٦ سبتمبر سنة ١٧٩٨ بعد عرض مثير ، فقد أركبه
الفرنسيون حمارا ، وأحاطت به مجموعة من الجنود
شاهرى السيوف، ويتقدم حامل الطيلة الموكب يدق عليه
وشقوا به حى الصليبية ، الى أن ذهبوا به الى الرميطة ،
وكتفوه وربطوه مشبوحا ، وأطلقوا عليه النار ، ثم
قطعوا رأسه ورفعوها على عصا طويلة ، وطاقوا بها فى
جهات الرميطة والمنادى يقول : « هذا جزاء من يخالف
الفرنسيين » -

ومن الواضح أن محمد كريم كان العنصر الوطنى
المحرك للمقاومة داخل الاسكندرية ، فبعد اعتقاله أخذه
الأهالى الى السكينة وكفوا عن المظاهر العدائية التى
كانت تبدو منهم - فقد كتب كليبر الى بونابرت يوم
٣١ يولية يقول : « تسود الاسكندرية السكينة بعد
اعتقال محمد كريم ، ولم تعد تنتشر اشاعات السوء
المقلقة للخواطر والمثيرة لروح الهياج ، وأقبل كل
انسان على عمله » - وقد تعزز مركز الفرنسيين فى
الاسكندرية بعد ورود أخبار انتصار بونابرت فى معركة
الأهرام يوم ٢١ يولية ١٧٩٨ ، ودخوله القاهرة
ظافرا -

وسرعان ما جاءت معركة « أبى قير البحرية » لتغير

مصير الحملة الفرنسية • وكان الأسطول الفرنسى قد انتقل بعد انزال الجيش على شاطئى العجمى يوم ٢ يولية الى أبى قير يوم السبت ٧ يولية ، بعد ان تبين للأميرال برويس أن الميناء القديم للاسكندرية لا يسع دخول البوارج الكبيرة ، وأن نصف الأسطول سوف يظل خارج الميناء ، وفى الوقت نفسه فانه سوف يكون مقيد الحركة ، حيث يمكن للأعداء الانجليز سد الميناء بوضع مركب واحد على منافذه • وقد استقر رأيه على خليج أبى قير ، التى كانت تمتاز بتوسط موقعها بين الاسكندرية ورشيد ، وسهولة رسو الأسطول بها وانزال المهمات والمدفعية الى البر ، والاتصال بالجيش الزاحف على القاهرة عن طريق فرع رشيد • وكانت خطته وضع قطع الأسطول على استعداد للقتال فى خط يبدأ بالقرب من جزيرة أبى قير ، المواجهة لقلعة أبى قير وبلدة أبى قير نفسها ، وينحنى على شكل قوس توزع القطع الحربية على ظوله • وكان هذا الترتيب قويا لولا أنه كان يتخذ مواقعه بعيدا عن الشاطئ بأكثر من ميل ونصف ، أى بما يزيد بنصف ميل عن المسافة الواجب اتخاذها ، كما أن المسافة بين كل قطعة بحرية وأخرى كانت مسافة كبيرة بقصد مساعدتها على الحركة والدوران ، ولكنها كانت كافية أيضا لدخول سفينة أخرى من سفن الأعداء • ولم يكن الأميرال بروس يتوقع مهاجمة الأسطول الانجليزى له فى خليج أبى قير

فور عثوره عليه ، وهو ناشر قلعوه ، لأن الأصول التي كان معمولا بها كانت تقتضى من نلسون أن يستطلع أولا موقع الفرنسيين ، ثم يصف سفنه في خط قتال ، مما يعطى لبرويس الفرصة للاستعداد . وقد كانت كل هذه الأسباب هي التي أدت الى الكارثة التي أحاطت بالأسطول الفرنسى ، والتي انتهت بتحطيم سفنه كلها تقريبا ، وأمر الباقي ، ومقتل أميراله ، وخيرة رجاله ، ونحو أربعة آلاف من بحارته ، وبالتالي قضت على آمال فرنسا في بسط سيادتها على البحر المتوسط ، وكانت أشد ضربة أصابت الحملة الفرنسية في مصر .

وقد تأثرت الاسكندرية بمعركة أبى قير تأثرا كبيرا . ذلك أن الأسطول الانجليزى لم يلبث بعد انتصاره أن أخذ يشدد الحصار على شواطئ الاسكندرية وغيرها من الشواطئ المصرية ، فقطع كل المواصلات التجارية التي كانت مصدر ثروة الاسكندرية ، ونضب معين الجمارك ، فضاقت الحال ، واشتد الكرب بأهل الاسكندرية ، وزاد سخطهم على الفرنسيين .

ولكى يستميل الأهالى ، أنشأ كليبر فى الاسكندرية « ديوانا » على مثال « ديوان القاهرة » تكون له السلطة المدنية للحكومة . وكان بوناپرت قد أرسل اليه فى ٢٨ و ٣٠ يولية ١٧٩٨ يأمره بتأسيس ديوان الاسكندرية على نسق النظام الذى رسمه لدواوين الإقاييم .

وبالفعل قام كليبر بإنشاء هذا الديوان في ٣١ أغسطس ، وعين لرئاسته الشيخ محمد المسيرى ، واصدر منشورا بذلك الى أهالى الاسكندرية فى نفس اليوم .

وكان الشيخ محمد المسيرى هو كبير علماء الاسكندرية ، وقد عرف عنه الاستقامة والعدل . وحين أوصى كليبر أعضاء الديوان بالنزاهة فى عملهم والبعد عن الطمع فى أموال الناس ، رد الشيخ المسيرى قائلا انه اذا لاحظ فى أى عضو عدم الأمانة فانه يعتزل فوراً رئاسة الديوان . وقد طلب اليه كليبر أن يكتفى فقط بإبلاغه ولا يحرم قومه ولا يحرم الأفرنج من خدمته وعمله . وكان يونايرت يقدره تقديرا كبيرا ، وقد كتب الى الجنرال مارمون Marmont فى ٢٨ أغسطس عام ١٧٩٨ يطلب اليه مقابلة الشيخ المسيرى لإبلاغه كيف أنه احتفل بالمولد النبوى فى القاهرة ، وبأنه يجتمع مع كبار المشايخ ورؤساء الأشراف بالقاهرة بين الحين والآخر ، وأنه لا يوجد أكثر منه اعتقادا بطهارة وقدسية الدين الإسلامى . وقد كتب الى الشيخ المسيرى من القاهرة رسالة يقول فيها : « لقد سرتنى ما علمته من الجنرال كليبر عن مسلككم ، وانك تعلم مقدار احترامى لك منذ عرفتكم ، وأتشم أن يجيء الوقت الذى أستطيع أن أجمع فيه عقلاء البلاد وعلماءها ، وأن أضع نظاما موحدا مؤسسا على مبادئ القرآن ، تلك المبادئ الصحيحة التى تكفل للناس

سعادتهم » . كذلك أخذ كليبر يقوم بزيارة محافظ
المدينة ورئيس الديوان ويتودد إليهما - ودعاهما مع
أعضاء الديوان عنده احكاما لروابط الود معهم ،
كما عين لكل من المحافظ وأعضاء الديوان وفرقة
الشرطة مرتبات شهرية .

ولم يشأ كليبر ارهاق أهالى الاسكندرية بالضرائب
وقد دخل بسبب ذلك فى خلاف مع بونايرت الذى طالبه
بفرض ضريبة جديدة لسد نفقات الجيش وتقوية
معدات الدفاع عن الاسكندرية وترميم البوارج البحرية
التي نجت من كارثة أبى قير ، ولكن كليبر أصر على
أن هذه السياسة يمكن أن تؤدى الى مجاعة والى فتنة فى
المدينة ، وتتناقض مع سياسة التودد الى أهالى
الاسكندرية . وذهب فى اصراره الى عرضه على بونايرت
اقالته من وظيفته ، ورشح الجنرال دوجا Dugua
ليخلفه ، ولكن بونايرت تمسك به .

وحين سافر كليبر الى القاهرة لمقابلة بونايرت ،
تولى الجنرال مانسكور Manseourt قيادة
الاسكندرية ، ولكن بونايرت استدعاه لما ظهر له عجزه ،
وعين الجنرال مارمون قائد لها . وظال فى هذا المركز
الى أن رحل مع بونايرت الى فرنسا فى أغسطس ١٧٩٩ .
ولكن صادقت مارمون صعوبات كبيرة ، أهمها ظهور
الطاعون فى الاسكندرية ، ومحاولة حصره فى الثغر

حتى لا ينتقل إلى باقي القطر ، مما أدى إلى صعوبة
المواصلات بين الاسكندرية وبين بلاد القطر الأخرى ،
وزاد من ضيق أهالى الاسكندرية .

وقد كان وقع كارثة أبى قير فى نفوس الجنود
الفرنسيين فى الاسكندرية ساحقا ، يعد أن أحسوا بأن
علاقتهم بفرنسا انقطعت ، وأصبحوا شبه منفين فى
القارة الأفريقية ، ولكن بونايرت استقبل الهزيمة
برباطة جأش ، واستمر فى مشاريعه ينفذها كان لم
يحدث شيء ، وكتب الى كليبر يقول : « ان ما حدث
سيضطرننا الى أن نعمل أعمالا أعظم مما كان فى
حسابنا » ! وقد أخذ كليبر من جهته يجمع فلول
البحارة الذين نجوا من الموت ، وعددهم نحو ثلاثة
آلاف ، وأنشأ منهم فرقة جديدة سميت « الفرقة
البحرية » ، وكف الأميرال جانتوم Ganteume
بأن يجمع بقايا السفن السليمة وينظمها من جديد
ويكون قائدا لها ، وطلب الى مارمون تحصين سواحل
الاسكندرية وحمايتها من السفن الانجليزية . وهذا
ما قام به مارمون ، وتولى الكولونيل كريتان Grettin
بناء قلعتين لصدهجمات البوارج الانجليزية ، القلعة
الأولى بكوم الدكة ، والثانية بكوم الناضورة . وقد
سميت قلعة كوم الدكة باسم كريتان ، تخليدا لاسم
بانيها الكولونيل كريتان ، وقد قتل فى معركة أبى قير

البرية • وسميت القلعة الثانية قلعة كافريللي Caffarelli
تذكارا لاسم الجنرال كافريللي الذى قتل فى حصار
عكا • كذلك بنى الفرنسيون قلعة بجزيرة المعجمى
مكان البرج القديم الذى كُن بها ، ثم نصبوا المدافع
على مدخل الميناء فى نهاية شبه جزيرة رأس التين •

ومنذ ذلك الحين ، وبحكم موقع الاسكندرية من
جهة ، وبحكم الصراع بين انجلترا وفرنسا من جهة
اخرى ، أصبحت الاسكندرية على مدى تاريخ الحملة
الفرنسية فى مصر ميدانا من ميادين الحرب بين فرنسا
وأوربا ، يأتى اليها الغزاة للاستيلاء عليها واتخاذها
ركيزة للقضاء على القوات الفرنسية فى مصر، خصوصا
بعد ابرام المحالفة العثمانية الانجليزية فى ٥ يناير
١٧٩٩ لارجاع مصر الى الباب العالى •

فى فبراير ١٧٩٩ هجمت احدى السفن الانجليزية
على الاسكندرية . وأمطرتها بقنابلها • وفى يوم ٢٥
يولية وقعت معركة أبى قير البرية بعد أن أعدت انجلترا
والدولة العثمانية حملة كبيرة لاجراج الفرنسيين من
مصر • وقد نزلت القوات العثمانية الى شاطئ أبى قير
يوم ١٤ يولية ، وعددها عشرة آلاف مقاتل ، فحاصرت
قلعة أبى قير . وهى القلعة القائمة الى اليوم فى نهاية
شبه جزيرة أبى قير والمعروفة « بطابية البرج » ، وقد
بنيت على الأرجح فى عهد السلاطين البحرية • وكانت

الحامية الفرنسية ممتنعة فيها بقيادة القومندان جودار Godard وكان موقع القلعة منيعا لأنها قائمة على صخرة منيعة ، وتحميها من الداخل استحکامات فى مدخل شبه الجزيرة ، فتحصن جودار فى المدخل ، وتولى الكابتن فيناش Vinache الدفاع عن القلعة .

وقد بدأت حصار أبى قير فى يوم ١٥ يولية ١٧٩٩ ، وتمكن العثمانيون من احتلال الاستحكامات ، وقتل الفرنسيين المدافعين ، ومن بينهم القومندان جودار . ثم احتلوا القرية ، ولم يبق أمامهم سوى القلعة ، ولكن الكابتن فيناش أثر التسليم ، ونقله العثمانيون وجنوده الى ظهر بارجة انجليزية من أسطول السيرسدى سميث Sir Sidney Smith واحتل العثمانيون القلعة يوم ١٧ يولية ١٧٩٩ .

ولواجهة هذا الخطر انتقل بوناپرت الى الرحمانية فى يوم ١٩ يولية ، ثم اتخذ مقر قيادته فى الاسكندرية ، يوم ٢٤ يولية ، وفى مساء هذا اليوم انتقل منها هو وأركان حربه وقوة الفرسان الذين كان يقودهم مورا Murat واتخذ معسكره على مسافة مبعة كيلومترات غرب أبى قير ، وقضى الليل يرتب مواقع جنوده . ثم نشبت المعركة صبيحة يوم ٢٥ يولية ، وهجم الجيش الفرنسى على مواقع الجيش العثمانى ، ورغم أن العثمانيين أصلوه بنار حامية . الا أن الفرنسيين

تفوقوا بتدبير قيادتهم وحسن نظامهم واحكام هجومهم وكثرة عددهم خصوصا الفرسان ، فتمكنوا من سحق خطي الدفاع اللذين أقامهما الجيش العثماني ، والتجأ مصطفى باشا ، القائد العثماني ، الى قرية أبي قير ليستند الى القلعة ، ولكن الجنرال مورا هجم بفرسانه وحال بين القرية والقلعة ، فحصر مصطفى باشا وجنوده في قرية أبي قير ، وانتهت المعركة بوقوع مصطفى باشا وجنوده في أسر الجيش الفرنسي ، وفقد العثمانيون في هذه الموقعة ثمانية آلاف ، وبلغ عدد أسراهم نحو ثلاثة آلاف وغنم الجيش الفرنسي مدافع الجيش العثماني ونخائره ، وفقد الفرنسيون ٢٥٠ قتिला ، وجرح منهم سبعمائة وخمسون .

وسرعان ما فرض الجيش الفرنسي الحصار على قلعة أبي قير التي كانت ماتزال تقاوم بقيادة ابن مصطفى باشا على رأس ثلاثة آلاف من الجنود ، واستمر القتال حتى يوم ٢ أغسطس حين نفذت ذخائر العثمانيين ، واحتل الفرنسيون القلعة ، وأخذ مصطفى باشا أسيرا .

وقد كرم بونابرت الجنرال مورا ، قائد الفرسان ، على ما أبداه من بسالة ، ورفاه الى قائد فرقة ، وكذلك الجنرال لان Lannes وأمر بأن تسمى ثلاث من قلاع الاسكندرية بأسماء كريتان Crettin ودوفيفيه

Duvivier وليتورك Letureq ، وهم القادة
الذين قتلوا في المعركة ، فأطلق اسم « كريتان » على
قلعة كوم الدكة ، واسم دوفيفيه على قلعة الركنة ،
واسم ليتورك على قلعة القمرية (غرب القبارى) .

كانت هزيمة العثمانيين في موقعة أبي قير البرية ،
التي كان اقتصار دور انجلترا فيها على مساعدة الحملة
العثمانية بأسطولها في البحر المتوسط ، سببا في أن
انجلترا اخذت تفكر في الدخول في ميدان القتال برا
واعداد جيش انجليزى يشارك الجيش العثمانى في
الزحف على مصر . وقد استقرت انجلترا على هذا الراى
بعد أن تكررت هزائم العثمانيين على يد القوات
الفرنسية في مصر في كل الحملات التالية التي تلت
موقعة أبي قير البرية . فقد هزمت الحملة العثمانية
التي جردت على مصر في أواخر شهر أكتوبر ١٧٩٩
ونزلت على شاطئ البحر بين بوغاز دمياط وبحيرة
المنزلة في يوم أول نوفمبر ، فقد هاجمها الجنرال
فردييه Verdier عند عزبة البرج يوم أول نوفمبر
١٧٩٩ وانتصر عليها انتصارا كبيرا . ثم هزمت
الجيش العثمانية مرة ثالثة في موقعة عين شمس بعد
نقض معاهدة العريش ، في ٢٠ مارس ١٨٠٠ ، وتبدد
الجيش العرمم الذى جاء الى مصر بقيادة الصدر
الأعظم ليتسلم مقاليد الحكم في مصر بعد ابرام معاهدة
العريش .

وعند ذلك قررت الحكومة الانجليزية الاشتراك في القتال براء، وأعدت خطة حربية لحملة انجليزية عثمانية مشتركة استغرق الاعداد لها عدة أشهر ، وبمقتضاها أقلعت فى يوم ٢٢ فبراير ١٨٠١ بقيادة السير أبركرمبى Abercromby ويصحبه بعض السفن العثمانية ونحو ستمائة جندى عثمانى ، ووصل تجاه الاسكندرية مساء أول مارس ، وفى اليوم التالى ألقى مراسيه فى خليج أبى قير على مسافة سبعة أميال من الشاطئ ، ولما كانت الرياح عاصفة فلم يمكن انزال الجنود الا فى يوم ٨ مارس . وقد تمكنت هذه القوات التى كانت تبلغ ستة آلاف جندى ، هزيمة القوات الفرنسية التى وصلت على عجل بقيادة فريان Friant بفضل تفوقها العددي، واضطر الفرنسيون بعد خسارة فادحة الى التقهقر ، واتخاذ مواقعهم على المرتفعات عند المنذرة (بين سيدى بشر والمنتزه) ، ولكن تقدم الانجليز يوم ١٢ مارس أجبر الفرنسيين على الانسحاب حتى أطلال قصر القياصرة ، أو معسكر قيصر Camp de Cesar (كامب دى سيزار) عند النقطة المعروفة الآن بمحطة مصطفى باشا (وبهذا الاسم سميت احدى محطات رمل الاسكندرية ، ولكنها تبعد قليلا عن موقعه القديم) . ودارت معركة على مقربة من مسجد سيدى جابر يطلق عليها المؤرخون الفرنسيون اسم معركة «نيكوبوليس» ،

وهي تقع حاليا في الجهة المعروفة باسم بولكلي وما حولها شرقي مصطفى باشا حتى جليمونوبولو ، وذلك في يوم ١٣ مارس ١٨٠١ . وقد هزم فيها الفرنسيون أيضا ، ودخل الانجليز معسكر قيصر ، واتخذوا منه مركزا دفاعيا وقاعدة لاستئناف هجومهم ، ورابط جيشهم على خط يمتد من البحر الى بحيرة أبي قبر (وهي غير موجودة الآن) وكانوا يسمونها « بحيرة المسدية » ، لاحتراز السيطرة التامة على منافذ ترعة الاسكندرية .

في ذلك الحين كان الجنرال مينو Menou الذي أصبح قائدا عاما للحملة الفرنسية بعد رحيل بوناپرت الى فرنسا في ٢٢ أغسطس ١٧٩٩ ومقتل خلفه كليبر في يوم ١٤ يونية ١٨٠٠ ، قد وصل الى الاسكندرية يوم ١٩ مارس ١٨٠١ ليقرر مهاجمة القوات الانجليزية . وقد دارت المعركة يوم ٢١ مارس ١٨٠١ في موقع يقع على مقربة من باب من أبواب الاسكندرية القديمة شرقي باب رشيد يسمى باب كانوب ، فسميت بمعركة « كانوب » ، وهي من أهم المعارك الحاسمة في تاريخ الحملة الفرنسية في مصر ، وقد منيت فيها القوات الفرنسية بالهزيمة ، وكان يقودها الجنرال رينييه Reynier والجنرال لانوس Lanausse والجنرال رامبون Rampon والجنرال رواز Roize وقد قتل فيها الجنرال لانوس والجنرال رواز والجنرال بودو

Beaudot وكان من الجرحى الجنرال ديستان D'Estaing
والجنرال بوسار Boussart . ولكن خسارة الانجليز
كانت فادحة أيضا ، فقد قتل منهم قائد الجيش نفسه
الجنرال أيركرومبي ، والجنرال كوت Coot ومن
الجرحى أوكس Oakes ولوسون Lawson والسير
سدنى سميث وغيرهم -

ومن هنا تحتل هذه الموقعة في تاريخ الانجليز
موقعا ممتازا ، يدل على ذلك أنهم أقاموا لها سنة ١٩٠١
نصبا تذكوريا بمناسبة مرور مائة عام على وقوعها .
يتمثل في تمثال من الرمر منقوش عليه بالانجليزية
أنه أقيم تذكارا للجنرال السير راف أيركرومبي
ورفاقه الذين قتلوا في هذه المعركة ، التي يسمونها
« معركة الاسكندرية » وهذا النصب أقيم في منطقة
محطة سيدى جابر على مقربة من ثكنات مصطفى باشا
التي أنشأها الانجليز بعد الاحتلال البريطانى في هذا
المكان لأنها تذكرهم بانتصارهم الحربى -

وكان من نتيجة معركة كُتوب أن ارتد الجيش
الفرنسى الى أسوار الاسكندرية ، وأخذ مينو يستعد
للدفاع عنها ، ولكن الجنرال هاتشينسون Hutcheson
الذى خلف الجنرال أيركرومبي فى قيادة الجيش
الانجليزى ، اثر فرض الحصار عليها ، ثم قام بخطوة

خطيرة في ١١ ابريل ١٨٠١ هي قطع سد أبى قير
لعزل الاسكندرية عن بقية أنحاء القطر .

كان سد أبى قير يفصل بحيرة مريوط عن بحيرة
أبى قير القديمة التى كانت تتصل بالبحر المتوسط
بواسطة فتحة اسمها « المعدية » ، (وقد أسماها
الفرنسيون لذلك باسم « بحيرة المعدية ») ، فلما قطع
السد ، طغت مياه البحر التى كانت تغذى بحيرة أبى قير
على بحيرة مريوط فى الجنوب ، فغمرتها بالمياه بعد أن
كانت شبه جافة بسبب انقطاعها عن البحر بواسطة
السد ، وخربت عددا كبيرا من القرى والبلاد بلغت -
وفقا لجراتيان لوير ثلاثين قرية ، وانقطعت المواصلات
بين الاسكندرية وداخل البلاد ، وانحصر الفرنسيون
داخل الاسكندرية ، ولم يبق لهم طريق صالح سوى
طريق العجمى الى الصحراء الغربية .

وقد عانت الاسكندرية تحت الحصار معاناة
شديدة ، وأصبحت مهددة بالمجاعة ، خصوصا بعد أن
سقطت مخازن الجيش المليئة بالموءن والدخائر وغيرها
فى يد الانجليز ، وأخذ الانجليز يضيّقون الحصار على
الاسكندرية من ناحية الغرب لمنع العربان الذين يمدون
ميتو وجيشه بالموءن والأغذية خلال شهر مارس وابريل .
وعندما أخذت الأقوات تشح تدريجيا عمد ميتو الى تنظيم
توزيع الموءن على الجيش بقدر معين وبدقة بالغة ،

واختص العمال المشتغلين بأعمال التحصينات بأكبر قدر ، وفى أوائل يونية شحت الأطعمة لدرجة اضطرت مينو الى اخراج الأفواه العاطلة من الاسكندرية ، وابعادهم الى الرحمانية . ومنذ نهاية شهر مايو بدأت الامراض الناجمة عن المجاعة تفتك بالاهالى وبجند مينو ، وامتنع ورود الأقوات نهائيا ، فانعدم اللحم من الأسواق ، وصذر الخبز يوزع على الجند والاهالى مخلوطا بالآرز ، ثم أصبح الآرز يوزع وحده ، ثم اختفى الآرز بدوره ، وصار مستشفى الاسكندرية يفص بالمرضى .

ثم أخذ الموقف يزداد سوءا فى الاسكندرية عندما سلمت القاهرة للانجليز ، الذى كانوا فى ذلك الحين قد تعزز جيشهم بمجىء جيش عثمانى برا من جنوب سوريا بقيادة يوسف باشا ضيا ، يبلغ عدده عشرين ألفا ، زحف من العريش وانتصر على الفرنسيين يوم ١٦ مايو فى منتصف الطريق بين الخانكة وبلبيس فى معركة الزوامل ، ثم زحف الجيشان الانجليزى والعثمانى على القاهرة ، واستسلم الجيش الفرنسى فى القاهرة باتفاقية الجلاء فى ٢٧ يونية ١٨٠١ ، وأبحرت بهم السفن الى فرنسا فى أوائل شهر أغسطس ١٨٠١ .

فقد قرر الانجليز بقيادة الجنرال هاتشينسون تشديد الحصار على الاسكندرية عن طريق نقل حوالى خمسة آلاف جندى بقيادة الجنرال كوت Coot

الى غرب الاسكندرية لاحتلال ساحل العجمى وقلعة العجمى ، لارغام الفرنسيين على توزيع قواتهم بين الشرق والغرب - وتم فى مساء يوم ١٦ أغسطس ١٨٠١ نقل أربعة آلاف جندى مع رجال المدفعية والمهندسين على سفن المدفعية التركية الصغيرة التى دخلت بحيرة مريوط منذ ١٣ أغسطس ، وتولى الجنرال كوت القيادة العامة ، وفى الوقت نفسه كانت احدى البوارج الانجليزية قد تمكنت من الوقوف قريبا من رأس التين وبدأت فى قذف الاسكندرية بقنابلها - وفى ١٨ أغسطس بدأ هجوم الانجليز على حصن قلعة العجمى (أو حصن مرابط Marabout كما يسميها الفرنسيون) واستطاعوا أن يدخلوا الى ميناء الاسكندرية عددا كبيرا من الفرقاطات والسفن والقراويت والأباريق واتخذت موقعها قبالة الفرقاطات الفرنسية التى اضطرت الى الاحتماء داخل الميناء ، واعتقد الفرنسيون أن الانجليز يستهدفون انزال الجند عند رأس التين كتوطئة للهجوم على الاسكندرية ، فعمدوا الى اغراق عدد من سفنهم واتخذوا منها جسرا وضعوا فوقه بطاريات مدافعهم ، واستمر القتال حتى يوم ٢٥ أغسطس حتى أذعن مينو لرغبة قواده فى الاستسلام -

وعلى هذا النحو دارت المفاوضات فى ظل أوضاع سيئة للقوات الفرنسية ، فقد كانت نسبتها الى القوات المحاصرة كنسبة واحد الى عشرة ، وكان للقوات المحاصرة

أربعون بارجة مخصصة للحصار ، فضلا عن أن الأمراض كانت قد فتكت بالحامية الفرنسية ، ونفدت الأقوات من المدينة وانقطع ورود المياه العذبة إليها . وفى يوم ٢١ أغسطس ١٨٠١ تم الاتفاق على شروط الجلاء عن الاسكندرية بين كل من اللورد كيث والجنرال هاتشينسون وحسين قبطان باشا والجنرال مينو ، وتقضى بجلاء القوات الفرنسية عن الاسكندرية وقلاعها وملحقاتها فى عشرة أيام ، وتسليم السفن الفرنسية ، ونقل الجنود الفرنسيين على سفن الحلفاء بأسلحتهم وأمتعتهم وعشرة مدافع ، مع تسليم باقى المدافع والذخيرة ، وأن يسلم أعضاء المجمع العلمى ولجنة العلوم والفنون جميع الآثار والمجاميع والخرائط والرسوم والمخطوطات التى جمعوها فى مصر .

على أن العلماء الفرنسيين رفضوا تسليم كنوزهم العلمية وهددوا باحراقها ، فسمح لهم باصطحابها معهم ، وفى خلال شهر سبتمبر ١٨٠١ أخذت السفن المقلّة للجنود الفرنسيين تقلع من الاسكندرية قاصدة فرنسا ، وكان عددهم ٧٢٠٠ من الجنود ، و ١٥٠٠ من البحارة ، و ١٤٠٠ من المرضى ، و ٦٨٠ من المدنيين ، وكان آخر من غادر الاسكندرية الجنرال مينو الذى أصيب بالطاعون فى أواخر أيامه فغادر الاسكندرية يوم ١ أكتوبر ١٨٠١ . وبهذا الجلاء انتهت صفحة الحملة الفرنسية فى الاسكندرية خاصة ، وفى مصر عامة .

الاسكندرية فى عهد الاحتلال الانجليزى الأول :

بعد خروج الفرنسيين من مصر تنازعت السلطة فى مصر ثلاث قوى هى : العثمانيون ، والانجليز ، والمماليك . وبالنسبة للعثمانيين كان يوجد فى ميناء أبى قير أسطول عثمانى بقيادة حسين قبطان باشا ، يتكون من نحو ستة آلاف جندى يحتلون المواقع القريبة من مرمى الأسطول . أما فى ميناء الاسكندرية فكان يوجد أسطول انجليزى بقيادة الجنرال هاتشينسون . وسرعان ما نشب الصراع بين العثمانيين والمماليك بعد أن انتهز العثمانيون الفرصة لاحكام سيطرتهم على مصر ، واضطر المماليك الى طلب مساعدة الانجليز فى هذا الصراع . وقد شهدت الاسكندرية جانبا من هذا الصراع حين دبر حسين قبطان باشا مؤامرة للمماليك فى أوائل أكتوبر ١٨٠١ ، استدعاهم بواسطة الى زيارته بمعسكره فى أبى قير للاتفاق معهم على تخويلهم سلطة الحكم ، حيث كانت تنتظرهم مذبةة قتل فيها عدد كبير منهم وسيق الباقون الى بارجة قبطان باشا واعتقلوا بها . وقد أثار هذا الحادث غضب الجنرال هاتشينسون وكادت الحرب تنشب بين الانجليز والعثمانيين ، فقد طرد الانجليز العثمانيين من الاسكندرية ، وأغلقوا أبواب الأبراج ، وتوجهت قوة انجليزية لحصار قبطان باشا من البر والبحر . وانتهت الأزمة بتسليم الأمري المماليك الى الانجليز .

وفي الفترة التالية تقلص الوجود العسكري
الانجليزي في مصر حتى انحصر في الاسكندرية تحت
قيادة الجنرال كافان Cavan أولا ثم الجنرال ستوارت
Stewart ثانيا . ومع أنه تم في ٢٧ مارس ١٨٠٢
إبرام الصلح المعروف بصلح اميان Amiens بين كل
من فرنسا وانجلترا وهولندا واسبانيا ، ومن شروطه
جلاء الانجليز عن مصر ، الا أن الانجليز أخذوا يماطلون
في الجلاء ، الأمر الذي اضطر فرنسا الى ارسال
الكولونيل سباستيانى Sebastiani الى الاسكندرية
خلال شهر أكتوبر ١٨٠٢ لمطالبة الانجليز بالجلاء .
وأخذت تلح في هذا الجلاء حتى قررت انجلترا سحب
قواتها من الاسكندرية . وعندما أبلغ الجنرال ستوارت
زعماء المماليك أوامر حكومته بجلاء القوات الانجليزية ،
وقع هذا الخبر عليهم وقع الصاعقة ، لأنهم كانوا
ينظرون للانجليز كحماة لهم .

وفي يوم ١٤ مارس ١٨٠٣ كان الجنرال ستوارت
قد أتم استعداداته للجلاء ، ثم سلم قلاع الاسكندرية
وأبراجها الى خورشيد باشا محافظ المدينة يوم ١٤
مارس ١٨٠٣ ، وأقلع الأسطول الانجليزي يوم ١٦
مارس يقل الجنود الانجليز وعددهم ٤٠٠٠ و ٤٠ جندي .
وبذلك انتهى الاحتلال الانجليزي الأول .

الاسكندرية فى عهد القوضى المملوكية :

كان بعد جلاء الانجليز عن مصر أن أصبح العثمانيون هم أصحاب الحول والطول فى الاسكندرية . وفى الوقت نفسه تجدد القتال بين العثمانيين والمماليك ، وثار الفتن فى الجيش العثمانى نفسه ، مما ترتب عليه فرار خسرو باشا ، الوالى العثمانى . وتعيين طاهر باشا قائمقاما له . ثم قتل هذا الأخير على يد الانكشارية من جنوده . وقامت الدولة العثمانية بتعيين على باشا الجزائرى واليا . وجاء هذا الى الاسكندرية فى أوائل يولية ١٨٠٣ بعد أن استولى المماليك على بقية البلاد فيما عدا رشيد . ثم سقطت رشيد فى أيديهم فى أغسطس ١٨٠٣ ، فأصبحت الاسكندرية هى المدينة الوحيدة فى يد العثمانيين ، كما كان الحال فى المرحلة الأخيرة من الحملة الفرنسية ، وأصبح عليها أن تخوض ظروفًا قاسية أخرى .

ذلك أن على باشا الجزائرى لم يلبث أن أخذ يعمل على تحصين الاسكندرية حتى لا تقع فى يد المماليك . وقد قادته سياسته الحمقاء الى ارتكاب ما ارتكبه الجنرال هاتشيتسون عند محاصرته الفرنسيين بقيادة مينو فى الاسكندرية ، فقطع سد أبى قير ، دون أن يعي أنه بذلك يحرم نفسه من المياه العذبة . وكان المهندس

السويدي « رودون » Rhodon قد قام باصلاح السد
بعد جلاء الفرنسيين بتكليف من الباب العالي .

وقد كان لقطع سد أبى قير على يد على باشا الجزائرلى
نفس الأثر التخريبى لقطعه على يد هاتشينسون ، فان
مياه البحر المتوسط طغت على شمال البحيرة ، وخربت
كثيرا من القرى والأراضى ، وأتلفت ترعة الاسكندرية
(المحمودية حاليا) التى كانت تروى الثغر بالمياه
العذبة ، فانقطعت المياه عن الاسكندرية ، وتمطلت
المواصلات اليها ، فاشتد الضيق بأهلها ، واضطر الكثيرون
الى النزوح عنها والهجرة منها ، وبعضهم - كما يقول
الجبرتي - غادر مصر كلية ، فسافر الى أزمير ، وبعضهم
الى قبرص ورودس . ولم يبق بالاسكندرية سوى
الفقراء والمعزة !

وفى نفس الوقت ، كان حكم الجزائرلى باشا فى
الاسكندرية حافلا بالجور والظلم ، ومصادرات الناس
فى أموالهم وبضائعهم ، وتسلبت عساكره عليهم بالجور
والخطف والفسق ، هذا الى جانب اهانتة لأهل العلم ،
حتى انه سجن الشيخ محمد المسيرى على قدره وعلمه .
وفى الوقت نفسه ، وفيما يتعلق بالأجانب فى
الاسكندرية ، فانه لم يحترم حقوقهم التى خولتها لهم
معاهدات الامتيازات ، وأهان أعلامهم وشاراتهم
الموضوعة على متاجرهم ومنازلهم ، وكان جنوده ينتهزون

فرصة خروجهم للتدريب اليومي في ساحة المنشية ،
فيمرّون بحى الافرنج ، ويطلقون الرصاص على
المساكن ووكالات القناصل ، حتى ضج هؤلاء بالشكوى،
وقرروا الانسحاب جميعا الى السفن الأجنبية الراسية
بالاسكندرية ، بينما انسحب القناصل أنفسهم الى سفينة
حسين قبطان باشا قائد الأسطول العثماني ، الذي كان
يساند خسرو باشا المعتقل بالقاهرة . ولم يقبل هؤلاء
النزول الى الاسكندرية واستئناف حياتهم العادية الا بعد
أن وعد على باشا الجزائرلى باحترام معاهدات
الامتيازات .

على أن على باشا الجزائرلى لم يلبث أن غادر
الاسكندرية فى ٢٦ ديسمبر ١٨٠٣ فى قوة تبلغ
٢٥٠٠ من المشاة و ٥٠٠ من الفرسان بدعوة من
المماليك - الذين تظاهروا بالرغبة فى الوفاق ، لتولى
الولاية فى القاهرة ، وكان غرضهم القضاء عليه ،
والاستيلاء على الاسكندرية . ومع أنهم أفلحوا فى قتله
عند القرين ، بين بلبيس والصالحية فى ٢٦ يناير
١٨٠٤ ، الا أنهم لم يفلحوا فى الاستيلاء على
الاسكندرية .

وقد حاولوا تكرار نفس الحيلة التى حاكوها لعلى
الجزائرلى ، وذلك بدعوة أحمد خورشيد باشا ، الذى
خلف على باشا فى حكم الاسكندرية ، الى القاهرة لتولى

باشويتها ، وكان غرضهم خضوع الاسكندرية لباشوية القاهرة ، ولما كانت باشوية القاهرة بدورها خاضعة لهم ، فسوف يتمكنون من تعيين حاكم للاسكندرية يكون بطوع ارادتهم .

وقد لعبت السياسة الانجليزية دورا فى محاولة اقناع خورشيد باشا بذلك ، نظرا لأن هذه السياسة كان يهملها أن تكون الاسكندرية فى يد البكوات المماليك ، الذين كانت تعتقد أن فى وسعهم الدفاع عن الاسكندرية ضد أى غزو فرنسى متوقع فى ذلك الحين - على أن خورشيد باشا عندما أدرك أن غرض المماليك الاستيلاء على الاسكندرية واخضاعها لسلطة حكومتهم فى القاهرة ، رفض أن يكون تسليم الاسكندرية ثمنا لهذه الباشوية - وقد أقر الباب العالى خورشيد باشا حاكما للاسكندرية ، وأمره ألا يقبل دخول المماليك اليها ، وأن يحافظ على الاسكندرية ويحول دون دخول أية قوات اليها سوى تلك التى ترسلها له حكومته برا وبحرا .

على أن خطر المماليك لم يلبث أن زال ، بسقوط حكومتهم فى القاهرة على يد الثورة الشعبية التى انفجرت فى القاهرة بين ٨ و ١٣ مارس ١٨٠٤ ضدهم ، بعد تزايد مظالمهم على الشعب واعتداءاتهم عليه ، وهى الثورة التى أبرزت دور محمد على - فعندما أراد عثمان بك البرديسى ، الذى أصبح صاحب السلطة فى القاهرة

بعد تخلصه من منافسه محمد بك الألفى ، أن يفرض
ضريبة جديدة على جميع الأهالى بلا استثناء ، وكلف
عمال الحكومة ببجابتها من كل فرد من أفراد القاهرة
من ملاك ومستأجرين ، لكى يتمكن من دفع مرتبات
جنوده ، ثار القاهريون ، واشترك معهم محمد على ،
قائد الجنود الألبانيين . فأمر جنوده بمهاجمة المماليك
الموجودين بالقاهرة فى يوم ١١ مارس ١٨٠٤ ، ففروا ،
وعلى رأسهم زعيمهم عثمان بك البرديسى وابراهيم بك ،
وسقطت قلعة الجبل فى يد محمد على . وقتل من المماليك
وجنودهم فى ذلك اليوم نحو ثلثمائة وخمسين . وانقضى
الشعب فى رشيد ودمياط وسائر عواصم المديريات على
الحكام المماليك ، فهربوا الى الصعيد ، وبذلك دالت
دولتهم .

وقد قع الاختيار بعد ذلك على أحمد خورشيد باشا ،
حاكم الاسكندرية ، ليكون واليا على مصر ، بناء على
اتفاق بينه وبين محمد على ، وأطلقت طابيات الاسكندرية
مدافعها لاعلان ولاية خورشيد على مصر ، وغادر
الاسكندرية الى القاهرة يوم ١٦ مارس ليصلها فى ٢٦
مارس ، وترك وكيله طاهر بك حاكما عليها ، وبذلك
أصبحت الاسكندرية تحت حكم باشوية القاهرة ، وثبتت
ذلك عندما وصل خورشيد باشا فرمان تثبيت الولاية
فى ٢٨ ابريل ١٨٠٤ .

على أن وقوع أحمد خورشيد باشا تحت سيطرة محمد على ، الذي كان يميل الى فرنسا ، لم يلبث أن دعا السياسة الانجليزية الى التفكير في مشروع يقضى باحتلال الاسكندرية لمنع وقوع غزو فرنسى محتمل على مصر ، وأصدرت تعليماتها الى الجنرال السير جيمس كريج James Craig فى البحر المتوسط فى ٢٩ مارس ١٨٠٥ بأنه فى حالة قيام الفرنسيين بأى عمل ضد مصر ، يصبح احتلال الاسكندرية أمرا ضروريا .

ولم يلبث أن زاد خوف السياسة الانجليزية من وقوع غزو فرنسى عندما استقر الأمر لمحمد على فى مصر بعد الثورة الجديدة التى نشبت فى أول مايو ١٨٠٥ ، وأطاحت بالوالى العثمانى أحمد خورشيد باشا ، وأنت بمحمد على واليا على مصر بارادة الشعب فى ١٣ مايو ١٨٠٥ ، ثم جاء فرمان السلطان العثمانى فى ٩ يولية ١٨٠٥ بتشبيت محمد على فى الولاية - فقد أخذت السياسة الانجليزية تتآمر مع المماليك المواليين لانبجلترا بزعامة محمد الألفى ، لطرد محمد على من الحكم . وعودة حكومة المماليك فى القاهرة .

وفى الوقت نفسه فان موافقة الحكومة العثمانية على تعيين محمد على لم يكن معناه الاطمئنان اليه أو نية التسليم له بالحكم ، اذ لم تلبث أن أوفدت قبطان باشا فى أسطول عثمانى يقل ٢٥٠٠ من الجنود لمراقبة

الحالة والتدخل بما يثبت السلطة العثمانية . وقد وصل هذا الأسطول الى أبي قير يوم ١٧ يولية ١٨٠٥ . وفي أثناء وجود هذا الأسطول دبر المماليك هجوما على القاهرة في ١٦ أغسطس ١٨٠٥ ، وهو يوم الاحتفال بوفاء النيل ، ولكن الهجوم فشل ، وأسفر عن قتل عدد كبير منهم . وعندئذ شعر قبطان باشا بأن الأمر قد توطلد لمحمد علي ، فرحل عن البلاد في أكتوبر ١٨٠٥ .

على أن الدولة العثمانية - مع ذلك - حرصت على استبقاء الاسكندرية تحت سيطرتها المباشرة ، دون أن تسلم بها لمحمد علي . وكانت الاسكندرية في فترة النزاع على السلطة في القاهرة بين المماليك والباشوات العثمانيين ، وبينهم وبين محمد علي ، قد ظلت معقلا للنفوذ العثماني . ذلك أن حاكم الاسكندرية طاهر بك كان هو وكيل أحمد خورشيد باشا الوالي العثماني، وفي يولية ١٨٨٥ حل محله أمين أغا في حكومة الاسكندرية . وقد سارعت الحكومة العثمانية الى اصدار فرمان بتثبيتته في حكومة الاسكندرية . وقد استرعى هذا الاجراء نظر الوكيل القنصل الفرنسي دروفتي ، فكتب الى حكومته في ١٦ أكتوبر ١٨٠٥ يقول :

« ان صدور هذا الأمر من القسطنطينية بتعيين أمين أغا حاكما للاسكندرية « برا وبحرا » ، يشير الى أن الباب العالي انما يريد التمسك بهذا المكان مستقلا

عن باشوية مصر ، • وكتب مسيت Misset ، القنصل
البريطاني ، الى حكومته في ٢٠ أكتوبر يقول ان
« فرمانا وصل من الباب العالي الى حاكم هذه المدينة ،
المستقل عن باشوية مصر ، بتعيينه في حكم الاسكندرية
وحصونها ، ويأمره بمنع أى جند من دخولها ، فيما عدا
أولئك الملتحقين بخدمته هو نفسه • واذا قبل محمد علي
هذا الوضع ، فلا خوف علينا من علاقاته مع فرنسا ،
ولكن لا يجب علينا أن نتوقع أنه سوف يسلم بحرمانه
من ميناء كهذا له أهميته الكبرى لحكومته وبدونه
يتمنر عليه تنفيذ تحقيق استقلاله عن الباب العالي
بمساعدة فرنسا •

وفي الواقع أن القنصل البريطاني ميسيت كان في
ذلك الحين يسعى في الاسكندرية لتهيئة الرأى العام
الاسكندري لقبول فكرة احتلال الثغر بقوات بريطانية ،
وقد بذل محاولات لكسب الشيخ محمد المسيرى الى
جانبه ، نظرا لما عرف عنه من ميول فرنسية ، وقد كتب
دروفتى الى الحكومة الفرنسية يخبرها بأن الهتافات
تمالت في الاسكندرية يوم ٤ يونية ١٨٠٥ « بحياة
السلطان جورج » ! وكان يهتف بها العربان ، الذين
وزع عليهم الوكلاء الانجليز المال ، لتحريك الشعب
للهتف بحياة ملك بريطانيا • كما أصاب ميسيت نجاحا
في مساعيه مع « الشوربجي » رئيس قضاء الاسكندرية

سيدي قاسم غرياني • وعلاوة على ذلك فقد عمل
ميسيت على استمالة السلطات الحاكمة في الثغر وعلى
رأسها أمين آغا حاكم الاسكندرية •

على أن الدولة العثمانية في ذلك الحين كانت
تستعد نسلب الانجليز كل ذريعة للتدخل ، عن طريق
انهاء حكم محمد علي في مصر ، وتعيينه حاكما على
سالونيك ، والاتفاق مع محمد الألفي لعودة حكومة
الماليك الى مصر ، واسناد ولاية مصر الى باشا جديد
يكون آلة في يد الماليك كما كان الحال قبل الحملة
الفرنسية ، وهو موسى باشا ، وتسمح للماليك بشراء
الرقيق وجلبهم الى مصر بعد أن منعوا من ذلك منذ
ثلاث سنوات ، وفرض هذا الحل بالقوة •

وهذا هو الذي تم في ٢٤ يونية حيث أنفذت
الحكومة العثمانية أسطولا على رأسه القبطان صالح
باشا ، يتألف من أربع يوارج من ذوات الخمسين مدفعا ،
وثلاث فرقاطات وثلاث قراويت ، عدا سفينة القيادة ،
وهي الفرقاطة جوستيس Justice وعليها القبطان
صالح باشا • جاء في النشرة التي صدرت في
القسطنطينية في ٢٦ يونية أن « الغرض من ذهاب
القبطان باشا هو الوصول الى الاسكندرية والبقاء بها
حتى يتنفذ الاتفاق في صالح الماليك » • وقد وصل
القبطان باشا الى الاسكندرية في ٢٧ يونية ١٨٠٦ ،

وفي ١٩ يولية وصل موسى باشا ، وأرسل قبطان باشا الى محمد على يبلغه فرمان النقل والتغيير ، ويأمره بالذهاب الى سالونيك مقر ولايته الجديدة .

على أن الخطة فشلت ، فقد استعد محمد على للحرب ، واستند الى المشايخ والعلماء في التمسك بموقعه ، في الوقت الذي أخذ يبذل المساعي لدى قبطان باشا وفي القسطنطينية بالرشاوى ، وانتهى الأمر بالتوصل الى اتفاق يقضى بتثبيت محمد على في الولاية في مقابل أن يؤدي الى الباب العالي ٤٠٠٠ كيس ، وأن يجعل ابنه ابراهيم رهينة بالاستانة حتى أداء هذا المبلغ ، وبالفعل وصل قرار الباب العالي بتثبيت محمد على في الولاية يوم ٥ أكتوبر ، وفي ١١ نوفمبر ١٨٠٦ بارح الأسطول العثماني الاسكندرية .

على أنه يلاحظ في فرمان الجديد بتثبيت محمد على في الولاية حرص الباب العالي على استمرار الاسكندرية منفصلة في شئونها عن باشوية محمد على ، وخضوعها في ادارتها لاشراف الباب العالي رأسا ، ثم ضبط إيرادات جمركها ، بالاضافة الى جمركي رشيد ودمياط ، لحساب القسطنطينية . أى بقاء الاشراف على أهم شئون الادارة بالاسكندرية في يد الباب العالي .

على أن ذلك لم ينف حقيقة أن محمد على قد أصبح مثبتا في حكم مصر مع ميوله الفرنسية ، الأمر الذي

يهدد مصلحة إنجلترا ، خصوصا بعد تحول الباب العالي الى فرنسا بعد الانتصارات التي أحرزها نابليون في النمسا ، واعترافه بلقب نابليون الامبراطورى رسميا ، وترحيبه ترحيبا كبيرا بالسفير الفرنسى فى القسطنطينية سيباستيانى فى أغسطس ١٨٠٦ ، وتخرج الأمور بين تركيا وروسيا لدرجة تهدد بقيام الحرب بين الدولتين وهو ما أصبح متوقعا فى سبتمبر ١٨٠٦ ، وتوهم الانجليز أن مصر ستكون ثمن التفاهم الفرنسى التركى .

وعلى ذلك لم يكد يستقر الأمر فى يد محمد على ، وبارح الأسطول العثمانى الاسكندرية فى ١١ نوفمبر ١٨٠٦ ، حتى أصدرت الحكومة الانجليزية تعليماتها الى قواتها فى صقلية لارسال حملة الى المياه المصرية لتنفيذ مشروع احتلال الاسكندرية ، لمنع الفرنسيين من وضع أقدامهم مرة أخرى فى مصر ، ولتمكين القوات الانجليزية أثناء وجودها بالاسكندرية من اعطاء تأييدها وحمايتها للقوى السياسية الموالية لها ، ويقصد بها الممالك من جماعة الألفى - وقد عين لقيادة هذه الحملة الميجور جنرال ماكنزى فريزر Mackenzie Fraser وكانت الأوامر التى صدرت اليه صريحة ، وهى أن الغرض من الحملة انما هو احتلال الاسكندرية فقط لمنع نزول الفرنسيين اليها ، وليس الغرض منها فتح مصر . وقد صدرت الأوامر بإبحار الحملة فى ١٨

فبراير ، وأقلعت من مسينا فى ٦ مارس ١٨٠٧ ،
ووصلت الى مياه الاسكندرية بعد ظهر ١٦ مارس
١٨٠٧ .

الاسكندرية وحملة فريزر :

وصف القنصل الانجليزى ميسيت الاسكندرية يوم
١٤ مارس ١٨٠٧ ، أى قبل وصول حملة فريزر
بيومين ، بأنها ذات حامية على درجة كبيرة من الضعف ،
ولا تبلغ ثلاثمائة رجل . وقال انه يمكن للاسطول
الانجليزى أن يجد فى أبى قير مكائنا ، ويستطيع الجنود
النزول الى البر دون مقاومة ، لأن القلعة فى حالة تهدم
وليس بها سوى عشرين من الجند فحسب ، ويمكن
انزال عدد من ألف ومائتى جندى الى ألف وخمسمائة
عند مرابط (العجمى) ، ويوجد بينها وبين الاسكندرية
خط دفاع ممتد من الميناء حتى بحيرة مريوط يتألف من
خندق وسياج من الأوتاد (متاريس) وتعززه قلعة
الحمامات من جهة اليسار ، وبطارية من مدفعين فى
الوسط ، وبطارية من مدفع واحد من جهة اليمين .

وتحدث عن ثمرة نشاطه مع مشايخ الاسكندرية ،
ونجاح مساعيه لجذب الشيخ المسرى ، فقال انه يذكر
بارتياح أن الشيخ محمد المسرى ، وهو رجل متمتع
بنفوذ لا حد له على مكان المدينة ، قد أرسل الى فى هذا
الصباح (٢٥ مارس) يجدد تأكيداتة التى أعطاها لى

مرارا بأنه اذا حدث وغزا البريطانيون مصر ، فان أهل الاسكندرية سوف يتلقونهم بصدور مفتوحة ، واهم أبعد ما يكونون عن مقاومتهم .

كان حاكم المدينة هو أمين أغا ، ولم يكن يظهر ميلا للاعتراف بسلطان محمد على بعد ان وصل الى الولاية رغم ارادة الباب العالي ، وكان يخشى أن تسقط المدينة في قبضة الأرناؤود (الألبانيين) فينهونها ويميثون فيها فسادا . وكانت الطبقة ذات النفوذ في الاسكندرية من التجار الذين لا يعنيههم سوى ضمان مصالحهم التجارية وامنتهم على أموالهم وأشخاصهم . ولم يكونوا يعرفون عن حكومة محمد على في القاهرة الا ما سار يبلغهم عنها ويذاع في المدينة من قصص عن اعتداءات الجند على القاهريين ، والمذابح المتكررة التي وقعت بالقاهرة خلال العامين السابقين . ولذلك أثر الاسكندريون أن يظلوا في شبه عزلة عن سائر أهل البلاد ، وصار لا يربطهم بهم أى شعور من المصلحة المشتركة . بل ولذلك فانهم كتبوا الى القسطنطينية بايعاز من « ميسيت » يطلبون منها ابقاء مدينتهم خارجة عن نطاق باشوية القاهرة ، وهو ما استجابت له القسطنطينية على الفور .

ومن الطبيعي في مدينة كالاسكندرية لا تخضع لباشوية القاهرة ، ولا يشعر أهلها بوجود روابط بينهم وبين سائر مواطنهم أن يكون خوفهم الأول من الأرناؤود

ومحمد علي ، وأن يعتقدوا بأنه اذا حدث الغزو الأجنبي ونزل الغزاة بمدينتهم فان ذلك يكون من مصلحتهم يعود عليهم بالنفع المحقق من حيث زيادة نشاط الحركة التجارية .

وهذا يفسر موقفهم من الحملة الانجليزية ، فعندما صدرت أوامر السلطان الى محمد علي بمقاومة الانجليز اذا حاولوا النزول في البلاد ، أرسل طائفة من الجند الأرثوود بقيادة سليمان أغا بطريق النيل الى الاسكندرية من أجل الاشتراك في الدفاع عنها - وقد وصل سليمان أغا بجنده الى أبي قير في ١٤ مارس استعدادا لدخول الاسكندرية . ولكن الأهالي قاوموا مجيء هذا الجند مقاومة شديدة ، وتصوروا أن المدينة اذا دخلها الأرثوود فسوف تسود فيها القوضى ، وتنهب متاجرها وأموالها ولا يأمن أحد من سكانها على حياته ، وهرعوا الى تسليح أنفسهم لمنع دخول الأرثوود الى مدینتهم بالقوة . وتزعم حركة المقاومة الشيخ محمد المسيرى ، والتف حوله أعيان الثغر ، وذهب بهم الى أمين أغا يطالبه بتأمين مصالحهم . وقد أظهر أمين أغا عزمه على مقاومة أوامر محمد علي بالقوة . وكتب « دروفتى » يقول ان سكان الاسكندرية جميعهم قد تسلحوا في ليل ١٤ مارس لدفع الأرثوود اذا أحضروا ، وان أمين أغا يؤكد انتفاء الحاجة الى هؤلاء الجنود ، حيث أن أهل الاسكندرية في وسعهم وحدهم الدفاع عنها . وعلى

ذلك فما ان وصلت مراكب الأرتوود الى الميناء القديم
فى صبيحة يوم ١٥ مارس ، حتى وجد هؤلاء أبواب
المدينة مغلقة ، والأسوار معصنة ، والأهالى على قدم
واحدة لردهم بالقوة . فاضطرت القوة للانسحاب الى
رشيد ، وأبلغ أمين والمشايخ حكومة القاهرة بان فيهم
الكفاية ولا يحتاجون الى عساكر زيادة تأييدهم من مصر ،
لأنهم اذا كثروا فى البلد تأتى منهم ألوان الفساد
والاقتصاد !

على أنه فى اليوم التالى ١٦ مارس كانت السفينة
الانجليزية الحربية « ويزارد » Wizard تصل الى
الاسكندرية ومعها سفينة أخرى ، ونزل منها ضابطان
أبلغا أمين أغا أن العلاقات قد قطعت بين انجلترا
وتركيا ، وأن أسطولا انجليزيا وصل ، وطالبا بتسليم
الاسكندرية طوعا . ولكن أمين أغا لم يسعه فى هذه
المقابلة الرسمية الا أن يتمسك بما لديه من أوامر
الباب العالى وهى أنه لا يمكنهم من النزول الا بمرسوم
سلطانى . ثم طلب استشارة المشايخ ، وقد اشترك فى
الاجتماع مع المشايخ الضابطان الانجليزيان ، ولم يسفر
الاجتماع عن قرار حاسم بالمقاومة .

وعلى هذا النحو استطاع فريزر انزال قسم من
جنوده الى البر فى مساء ١٧ مارس دون مقاومة ، وذلك
بالرغم من خطورة هذه العملية بسبب اشتداد الأنواء ،
وعجز الانجليز عن ادخال سفينة قيادتهم (تيجر Tiger

فى الميناء القديم نتيجة لتسرب المياه إليها ، ورسو بقية قطع الأسطول على مسافة ميلين من الشاطئ وحتى انه كان فى استطاعة الأسطول العثمانى الضعيف ، الرابض على مسافة تقل عن أربعة أميال فحسب ، تحطيم السفن الانجليزية لو اشتبك معها فى معركة وقتئذ • ولدى مقاومة انزال الجنود البريطانيين الى البر مرت بسلام ، وانقضى ليل ١٧ مارس دون أن يلحق الانجليز أية مقاومة •

ثم بدأ فى اليوم التالى الزحف ، فاقتحمت القوات الانجليزية ، التى نزلت فى مكان يبعد أميالا قليلة الى الشرق من مرابط (العجمى) ، خطا من المتاريس ممتدا من قلعة الحمامات (بين مرابط والميناء القديمة) الى بحيرة مريوط ، تعززها ثلاث بطاريات من المدفعية الخفيفة ، عدا بطاريات قلعة الحمامات وهى من ثلاثة عشر مدفعا ، واستطاعت بعد اشتباك الوصول الى باب عامود يومبى (السوارى) حيث وجدوا الحامية به مستعدة لملاقاتهم ، والباب محصنا ، والأسوار خلفها الجند والأهلون مسلحون • وعندئذ أثر الانجليز متابعة الزحف شرقى المدينة لاتخاذ مواقعهم فى البقعة التى احتلها جيشهم قبل ذلك يوم معركة كانوب (٢١ مارس ١٨٠١) فى حريهم مع مينو ، فوصلوها فى يوم ١٩ مارس • ويادر فريزر بارسال قوات لاحتلال قلعة أبى قير ، وفى اليوم التالى ٢٠ مارس وافق أمين أغا على

التسليم بعد أن امتنع ثمانى وأربعين ساعة لكى يحمى نفسه من غضب حكومته .

وقد تألفت شروط تسليم الاسكندرية من سبع مواد ، فنصت المادة الأولى على احترام حقوق الملكية وتأمين أهل الاسكندرية على اموالهم واملاكهم ، واحترام عقائدهم ودياناتهم وجوامعهم وقوانينهم . وفى المادة الثالثة استيلاء القوات الانجليزية على السفن العثمانية ومتعلقاتها (وقد استولى الانجليز على الفرقاطتين والقرويت العثمانية) وفى المادة الخامسة اصدار عفو شامل عن السكان بغض النظر عن مسلكهم فى الدفاع عن المدينة . وفى المادة السادسة عدم اجراء أى تفتيش فى منازل الأفراد حتى ولو كانوا من أعداء بريطانيا . وفى المادة السابعة أن تتسلم القوات البريطانية باب رشيد وقلعتى كريتان Cretin وكافاريللى Caffarelli وفى ليل ٢٠ - ٢١ مارس ١٨٠٧ تسلم الانجليز قلعتى كريتان وكافاريللى ، ولم يكلفهم الاستيلاء على الاسكندرية سوى ستة قتلى وثمانية جرحى فقط !

كان عدد رجال الحملة الانجليزية ٦٠٠٠ جندى، بينما بلغ عدد رجال حملة الجنرال بوتابرت نحو ٣٦ ألف جندى وأسطول من أعظم الأساطيل . ويرجع السبب فى صغر الحملة الانجليزية الى أنها كانت تعتمد على المماليك داخل البلاد لمساندتها ، ولم تكن أهدافها تتجاوز احتلال الاسكندرية .

على أن تقديرات الحملة الانجليزية بالنسبة للمماليك لم تتحقق . فقد مات محمد الألفى ، زعيم المماليك ، قبل مجيء الحملة بأربعين يوما ، وتشتت أنصاره . وكان محمد على فى صراع معهم فى الصعيد ، وقد أبرم معهم الصلح ليتفرغ لقتال الحملة الانجليزية على أساس أن يترك الصعيد لهم ، وعاد الى القاهرة يوم ١١ ابريل ١٨٠٧ حيث عمل على تجريد جيش لقتال الانجليز ، كان يتألف من أربعة آلاف مقاتل من المشاة والفرسان ، وسارت قاصدة الى رشيد بقيادة طبوز أوغلى ، نائب محمد على (وهو جد حسين رشدى باشا أحد رؤساء الوزراء السابقين) .

على أنه قبل أن يصل محمد على الى القاهرة كان فريزر ، تحت الحاح ميسيت ، وبالمخالفة لتعليمات حكومته ، قد أرسل حملة الى رشيد ، تحت الاعتقاد بأن جنود الحملة بالاسكندرية معرضون لخطر الموت جوعا اذا لم يحتل رشيد والرحمانية . ولكن الحملة على رشيد ، وهى التى وقعت يوم ٣١ مارس ١٨٠٧ ، منيت بهزيمة منكرة ، قتل من الانجليز ١٧٠ قتيلًا وجرح ٢٥٠ ، وأسر المصريون ١٢٠ أسيرا ، وبادر على بك ، حاكم رشيد ، بإرسال الأسرى الى القاهرة ، ومعهم رؤوس قتلاهم ، ليكون ذلك اعلانا بالنصر الذى حققته رشيد . وقد أراد فريزر أن يمحو أثر هذه الهزيمة فأرسل حملة ثانية الى رشيد قامت فى ٣ ابريل بقيادة الجنرال

ستيوارت Stewart وضربت الحصار على رشيد ، واحتلت الحماد التي تقع جنوبي رشيد بين النيل وبحيرة ادكو . واستمر الحصار والقتال حتى وصل المدد الذي أرسله محمد علي ، ومنيت القوات الانجليزية بهزيمة كبيرة في الحماد في يوم ٢١ ابريل ، وبلغت خسارتها ٤١٦ قتيلًا و ٤٠٠ أسير . واضطرت القوات البريطانية المحاصرة لرشيد أن ترفع عنها الحصار وتنسحب الى أبي قير ومنها الى الاسكندرية .

ومنذ ذلك الحين اعتصمت القوات الانجليزية بالاسكندرية وأخذت في تحصينها ، ورأى فريزر أن يؤمن هذه القوات بقطع سد أبي قير لتغطي مياه بحيرة أبي قير على مريوط وتحيط المياه بالاسكندرية من جميع الجهات فكانت هذه هي المرة الثانية التي يقطع فيها هذا السد على يد الانجليز ، ليتلف ترعة الاسكندرية ويمنع وصول مياهها الى الثغر ، ويخرب بلادا كثيرة في جهات مريوط . أما المرة الثالثة فكانت على يد علي باشا الجزائري .

وعلى كل حال فان الموقف في أوروبا لم يلبث أن ضغط على يد بريطانيا للجلاء عن الاسكندرية ، فأرسلت تستدعى جيشها من الاسكندرية ، وأمرت الجنرال فريزر بالاقلاع بجنوده الى صقلية ، ففوض الجنرال فريزر الجنرال شيربروك Scherbrook في الاتفاق مع محمد علي على الصلح ، وتقابلا في دمنهور ، التي

وصل اليها محمد على على رأس جيش من ثلاثة آلاف من المشاة وألف من الفرسان المجهزين بمدفعية قوية . وهناك أبرم الطرفان معاهدة الصلح فى ١٤ سبتمبر ١٨٠٧ ، وهى تقضى بجلاء القوات البريطانية عن الاسكندرية مقابل استرجاع الانجليز أسراهم وجراحهم . وقد بادر محمد على بانفاذ أمره الى القاهرة لاحتضار الأسرى على الفور ، وأخذ فريزر يعد معدات الجلاء وتسلم الأمرى . وفى يوم ١٩ سبتمبر ١٨٠٧ ، تم جلاء الانجليز عن الاسكندرية ، وبذلك طويت صحيفة الاحتلال الانجليزى الثانى ، وكانت مدته ستة أشهر .

وقد خدمت هذه الحملة علاقة الاسكندرية ببقية القطر ، التى كانت قد انقطعت خلال السنوات السبع السابقة ، بعد أن اعتبرها الباب العالى تابعة له تبعية مباشرة . فقد تمكن محمد على من ضمها الى جامعة الوطن ، ودخلها محمد على بعد جلاء الانجليز فى يوم مشهود أطلقت فيه مدافع القلاع والأبراج ، وكانت هذه هى أول مرة تطلق فيها قدم محمد على الاسكندرية فى يوم ٢٠ سبتمبر ١٨٠٧ .

وقد بادر القناصل والأعيان وكبار التجار والمشايخ والعلماء ورؤساء الجند بتقديم التحية له ، وقام الباشا بزيارة المدينة وتحصيناتها وقلاعها ومخازنها ، وكان أول ما استرعى انتباهه خلو الخزائن بالاسكندرية ،

فأمر بفحص حسابات الجمارك وسجلات احتكارات
الصودا وأصناف السوائل ، وتبين من هذا الفحص أن
الأموال المحصلة منها والتي كان يجب أن تمتلئ خزانة
الحكومة بالاسكندرية ، قد بددت - ولذلك أخذ من
التجار الأوروبيين بالثغر سلفة قدرها عشرون ألف ريال
تقوم جمارك الاسكندرية بسدادها لأصحابها من
إيراداتها .

وقد ترتب على جلاء الانجليز عن الاسكندرية أن
غادرها كثير من أولئك الذين اعتقدوا أنهم ساروا
موضع كراهة عظيمة بسبب صداقتهم ومناوئتهم
للانجليز . وقد لجأ بعض هؤلاء الى البريطانيين حتى
يغملوهم على ظهر سفنهم معهم ، بينما هاجر عديدون
من سكان الاسكندرية ، مسلمين ومسيحيين على السواء ،
ومن بين هؤلاء الآخرين أمر لبنانية كثيرة ذهبت الى
الشام ، ونزح قسم كبير من فقراء الاسكندرية الى
الصحراء ليميشوا مع البدو في خيامهم . ومن بين من
هاجروا من الاسكندرية الشيخ محمد المسيرى ،
والشوربجي ، ورئيس قضاة الاسكندرية سيدى قاسم
غريانى . وأما الشيخ ابراهيم باشه ، زوج كريمة
الشيخ محمد المسيرى وأحد الموقعين على تسليم
الاسكندرية الى الانجليز ، فقد أثر أن يقبل قدمى
محمد على يطلب منه الصفح ، على الهجرة من

الاسكندرية ، فمقا عنه الباشا ، وأمنه على حياته ، وخلع عليه فروة ثمينه .

والمهم هو أنه بانضمام الاسكندرية الى الولاية ، انفصلت تلك الحلقة القديمة التي كانت تربط الاسكندرية بالقسطنطينية . فقد كانت تعد حتى ذلك الحين بمثابة المنفذ الذى ييسط منه الباب العالى نفوذه على مصر كلما تستنى له ذلك ، والبؤرة التي يدبر فيها ضباطه ورجاله مكائدهم ضد الباشوات العثمانيين أو البكوات المماليك اذا قوى شأن هؤلاء وأولئك ، لتقويض سلطانهم ، والقاعدة التي يرسل اليها السلطان أساطيله بقيادة القبطان باشا تحمل واليا جديدا يحل محل محمد على في حكم البلاد وأمرأ بأبعاده الى باشوية أخرى . فكان معنى انضمام الاسكندرية الى الولاية ودخولها في نطاق باشوية القاهرة انعدام ذلك الاتصال المباشر بين مقر السلطنة وبين باشوية محمد على ، وتعذر على أعداء الباشا وضباط الباب العالى أن يجدوا في مصر وكرا يحيكون منه دسائسهم ضد نفوذه وسلطانة . وكان من أثر ذلك أن اعتبر محمد على املاك الاسكندرية « فتحا » حقيقيا . وقد علق الشيخ الجبرتي على ذلك بقوله ان الباشا بجلال الانجليز ، ودخول الاسكندرية في حوزته ، قد « استقر واطمان خاطره ، وخلص له الاقليم المصرى » .

الاسكندرية فى عصر محمد على وخلفائه :

كان استيلاء محمد على على الاسكندرية نقطة تحول فى تاريخها ، وبداية بعث الحياة فى هذه المدينة العظيمة ، بعد أن اندثرت أهميتها قرونا عديدة ، وانتقلت الى ميناء رشيد . فقد أدرك منذ البداية أهمية هذه المدينة ، وعمل على الفور على النهوض بها ، ووضع أسس تنميتها حتى أصبحت ثانية مدن القطر بعد القاهرة .

وقد بدأ فى عام ١٨٠٧ / ١٨٠٨ بإنشاء « ديوان ملكى الاسكندرية » ، الذى هو أساس ما عرف فيما بعد باسم « محافظة الاسكندرية » . ولكن العمران فى المدينة كان يسير بطيئا ، ففى عام ١٨١٠ كانت المدينة ما تزال مدينة عربية الطابع ، وكان القليل من الأوروبيين فيها يشتغلون بالتجارة ، أما المواصلات التجارية الداخلية بين الاسكندرية وبقية مدن القطر ، فكانت تجرى بطريق البحر من دمياط أو رشيد . وكان ذلك يسبب مشاق كثيرة لأهل المدينة والأجانب ، ولذلك لم يزد عدد سكان الاسكندرية كثيرا عما كان عليه عند دخول محمد على إليها ، وهو ثمانية آلاف نسمة تقريبا .

وقد أدرك محمد على أن الاسكندرية لن يتسنى لها النهوض الحقيقى طالما ظلت المواصلات بينها وبين بقية

مدن القطر على هذا النحو من الصعوبة ، ولذلك عمل على انشاء ترعة للملاحة تسير فيها السفن المشحونة بالفلال وغيرها من منتجات البلاد الى الاسكندرية عن طريق فرع النيل الغربى ، دون أن تمر بميناء رشيد ، ومن هنا كلف أحد المهندسين الاتراك ، وهو شاكر أفندى ، بشق ترعة المحمودية ، مكان ترعة الاسكندرية القديمة ، التى كانت الاتربة والرمال قد طمرتها ، على أن يكون مدخل التربة عند قرية العطف . وقد بدأت أعمال الحفر فى ٢١ ابريل ١٨١٧ ، واستكملها مهندس فرنسى يدعى كوست Coste حتى انتهى العمل فيها فى ديسمبر ١٨٢٠ . واحتفل بفتح فوهة التربة ودخول مياه النيل الى الاسكندرية فى فبراير ١٨٢١ ، وسميت باسم « المحمودية » تيمنا باسم السلطان محمود الثانى العثمانى ، وأصبحت التربة هى طريق المواصلات النيلية بين الاسكندرية وداخل البلاد .

وكان محمد على قد مهد لذلك باصلاح سد أبى قير القديم ، وسد فتحة بحيرة أبى قير بجسر من الأحجار ، لكي يقى ترعة المحمودية من طفيان مياه البحر اليها . ومنذ ذلك الحين أخذت بحيرة أبى قير تجف تدريجيا حتى صارت الآن أرضا زراعية .

وقد بلغ طول ترعة المحمودية ٢٥٢ ٨٠ مترا ، وقد جعل فى فوهتها فى البداية قناطر تمنع دخول

المراكب من النيل اليها ، فكانت البضائع الآتية من القطر تنقل عند فوهتها الى مراكب أخرى من مراكب المحمودية ، وعند وصولها الى الاسكندرية تنقل الى مراكب البحر المتوسط . وفى سنة ١٨٤٢ أمر محمد على بإزالة هذه القناطر وعمل هويسات فى مدخلها ومخرجها ، أحدهما صغير عرضه أربعة أمتار للمراكب الصغيرة ، والآخر كبير سعته ثمانية أمتار للمراكب الكبيرة ، وبذلك زالت الصعوبات الناتجة من نقل البضائع مرتين .

وقد بلغت نفقات حفر هذه التربة ثلاثمائة ألف جنيه حسب تقدير كلوت بك . ولم يكن الغرض منها مجرد تيسير الملاحة بين الاسكندرية وبقية القطر ، أو حصول أهالى الثغر على كفايتهم من المياه فحسب ، بل كان الغرض أن تكون هذه المياه كافية لإنشاء البساتين ورى الحقول والمزارع فى ضواحي الاسكندرية ، وعلى ضفاف التربة . وبالفعل فعندما حفرت ترعة المحمودية كان عدد الأفدنة ذات الزراعة الصيفية أقل من أربعة آلاف فدان ، فزادت زيادة عظيمة حتى بلغت فى عام ١٨٤٩ ثلاثة أضعاف المساحة ، أى ١١٥٤٥ فدانا . وابتنى الأغنياء القصور وأنشئوا البساتين على ضفاف التربة فى جهات كانت من قبل أرضا جرداء .

وقد اشترك فى حفر ترعة المحمودية نحو ٣١٣٠٠٠ من الفلاحين ، جىء بهم من مديريات

البحيرة ، والغربية ، والشرقية ، والدقهلية ، والمنوفية ،
والقليوبية ، الجيزة - مات منهم عدد كبير دفنوا تحت
أكداس التراب الذى كانوا يرفعونه من قاعها ، بسبب
قلة الزاد المونة وسوء المعاملة ، حتى ليذكر شاهد عيان
هو المسيو مانجان Mengin أنه مات اثنا عشر ألفا فى
مدة عشرة أشهر فقط !

والمهم هو أن حفر هذه التربة يعد البداية الحقيقية
لنمو المدينة الحضارى العمرانى والاجتماعى - لقد
أخذ عدد السكان فى المدينة يتضاعف بعد عام ١٨٢١ ،
فقد ارتفع فى الفترة من ١٨٢١ الى ١٨٤٠ الى
٦٠٠٠٠ ألفا ، وفى الفترة من ١٨٤٠ الى ١٨٤٨ ارتفع
الى ١٤٣٠٠٠ نسمة على أقل تقدير - وفى عام ١٨٧٤
وصل الى ٢٧٠٠٠ نسمة -

وفى نفس الوقت أخذ الباشا يهيىء الاسكندرية
لتكون المرفأ الوحيد الذى تستطيع أساطيله اتخاذه
مكنا آمنا لها - فبعد موقعة نافارين البحرية (أكتوبر
١٨٢٧) رأى محمد على أن ينشئ أسطولا جديدا بأيد
مصرية ، ومن هنا بدأت فكرة تأسيس ترسانة كبرى
بالاسكندرية لبناء السفن الحربية ، واتخذ نواة لها
الترسانة القديمة - وقد استعان محمد على لتحقيق هذا
المشروع بمهندس فرنسى يدعى سيريزى Cerisy

وقد قدم الرسوم اللازمة لانفاذ المشروع الى محمد علي في ٩ يونية ١٨٢٩ ، وشرع من فوره فى اخراج المشروع الى حيز العمل ، وتم بناء الترسانة سنة ١٨٣١ بعد أن استدعى محمد علي لبنائها عدة آلاف من الشبان والعمال من التجارين والحدادين والسباكين والميكانيكيين وغيرهم ، وصارت ترسانة الاسكندرية من أعظم المنشآت الحربية والبحرية - وأصبحت معهدا لتعليم الشبان المصريين بناء السفن وترميمها وما يلزمها من آلات .

وفى نفس الوقت بدأ فى توسيع ميناء الاسكندرية وتعميقها وانشاء الأرصفة الجديدة بها (١٨٢٨ - ١٨٣٣) واستحضر لذلك الكراكات من أوروبا حتى صارت السفن ترسو على الشاطئ بعد أن كانت ترسو بعيدا عنه . كما أذن للسفن الأوروبية التجارية والحربية بالدخول فى الميناء القديم الغربى بعد أن كان غير مباح لها فى عهد المماليك أن ترسو الا فى الميناء الشرقى . وكان من نتيجة ذلك اتساع الحركة التجارية فى هذا الميناء . كذلك أنشأ رصيفا داخل الميناء لرسو السفن عليه ، وملا المتخلف بين الأرصفة والشاطئ بالأحجار والأتربة ، فاتسع الشاطئ ، وأنشأ فى ذلك الفضاء ما تحتاج اليه الميناء من المخازن وأبنية الجمرک ومساكن الموظفين .

كذلك أنشأ محمد علي فى الميناء حوضا لترميم

السفن بما لا تستغنى عنه الموانئ الكبرى ، وقد تم
إنشاؤه فى سنة ١٨٤٤ • كذلك أنشأ رصيفا للشحن
فى الميناء ، ومد سكة حديدية تصل مستودعات البضائع
والفلال بالرصيف لتسهيل نقلها الى السفن •

ولارشاد السفن القادمة الى الميناء والخارجة منها ،
أنشأ يشبه جزيرة التين فنارا يعد من أبداع الانشاءات ،
كما أنشأ مستشفى بحريا خاصا بالأسطول ، ومعسكرا
بحريا لتعليم البحارة فى الجهة الشمالية الشرقية من
رأس التين •

كذلك أصلح محمد على قلاع الاسكندرية وأنشأ
غيرها للدفاع عن البلاد ، واستدعى من فرنسا لذلك
مهندسا فرنسيا هو « جاليس Galice » وقد بلغ عدد
حصون الاسكندرية فى سنة ١٨٤٨ ، ٢٥ حصنا ، كان
أكبرها قلعة قايتباى ، التى كان عدد مدافعها ١١٠
مدافع •

وقد شهد عصر محمد على نزوح الأجانب بكثرة الى
مصر عامة ، والى الاسكندرية خاصة • ففى عام ١٨٠٠
لم يكن عدد الأجانب فى مصر كلها يتجاوز مائة نسمة ،
ولكن هذا العدد ارتفع الى ٤٨٨٦ فى عام ١٨٣٣ ، ثم
الى ٤٦١١٨ فى عام ١٨٩٧ • ويرجع السبب فى ذلك
الى سياسة محمد على ازاء الأجانب ، فقد ألغى ما كان
متبعيا من اجراءات ازاء المسيحيين من قبل ، اذ كانوا

يمتعون من ركوب الخيل ، وارتداء الملابس ذات الألوان الخاصة بالمسلمين . وأذن للرهبان ببناء الأديرة ، كما أذن للكنائس بأن تدق نواقيسها ، ولرؤساء الطوائف بإقامة القداس علنا . كما استخدم الكثيرين من الأجانب لتنفيذ مشروعاته العمرانية والعسكرية . ومن هنا تبدلت حال الأجانب في مصر ، فتركوا حياة العزلة في الأحياء المخصصة لهم ، وخرجوا من « الخانات » ليختلطوا بالأهالي .

وقد كان بعد حفر ترعة المحمودية أن تأسس بالاسكندرية عدد كبير من بيوت المال والأعمال التي تتولى تجارة الصادر والوارد ، من فرنسية ونمساوية وسويسرية ويونانية وغيرها . وكان هؤلاء الأجانب مع الرعايا الانجليز النازحين من جزيرة مالطة . وقد مثلوا في عام ١٨٣٣ أكثر من ٦٠ في المائة من مجموع الأجانب بالاسكندرية (٣٠٠٠) ويليهم في العدد التسكانيون ، ومعظمهم من اليهود (٥٠٠) واليونانيون (٤٠٠) والفرنسيون (٣٠٠) والنمساويون (٢٩٦) . ثم أعداد قليلة من أهل مملكة نابولي وسردينيا وإسبانيا وسويسرا ، وكذلك الألمان والرومانيين وجزر البليار .

وقد كان اليونانيون أول من بكروا بالمجيء الى مصر منذ عام ١٨١١ ، وتلاههم الفرنسيون الذين كثر عددهم عقب انهيار امبراطورية نابليون بونابرت ، أي منذ

عام ١٨١٥ ، ثم الايطاليون ، حتى كانت اللغة الايطالية هي اللغة الأجنبية الأكثر تداولاً . وكان هؤلاء الايطاليون يعرفون العربية ، كما كان عامة الأهالي في الاسكندرية يتكلمون الايطالية . وفي ذلك يقول رفاعة الطهطاوى في كتابه « تخليص الابريز » عند كلامه عن الاسكندرية ابان رحلته الى باريس ، ان أغلب السوق بمدينة الاسكندرية يتكلم بشيء من اللغة الايطالية .

وبشكل عام قام الأجانب في الاسكندرية بنشاط مع كل نوع ، وعلى رأسه النشاط التجارى . وكان التجار الأوروبيون يقومون بجميع العمليات التجارية بين مصر وأوروبا ، وكذلك الملاحة فى ميناء الاسكندرية التى كانت فى يد الأوروبيين وحدهم . وقد أورد بورنج Bowring فى تقريره الى الحكومة الانجليزية فى مارس ١٨٣٩ قائمة بأسماء التجار الأوروبيين المقيمين بالاسكندرية تضم ٧١ تاجرا ، وتضم بعض أسماء ليهود مرموقين كما تضم أسماء كانت لاتزال معروفة فى الاسكندرية أو فى القاهرة الى عهد قريب ، مثل أفرينو Avierino اليونانى ولامبروزو Lambroso التوسكانى وسكاكينى Sakakini الفرنسى وزيزينيا Zizinia اليونانى وزوغيب Zogheb التوسكانى . وفى هذا التقرير ذكر أن شطرا كبيرا جدا من تجارة مصر مركزه الاسكندرية ، فأغلب ما يصدر الى أوروبا مقصور على هذا الثغر .

وقد كان لوجود الأجانب فى الاسكندرية بأعدادهم الكبيرة أثره فى امتداد العمران بالمدينة ، وفى تحديد ذلك الاتجاه . وفى أول القرن التاسع عشر كانت المدينة تقتصر على حى الجمرك وحى المنشية تقريبا . وفى منتصف القرن كانت المدينة قد امتدت فى اتجاهين : نحو الشمال ، لتشمل حى رأس التين وحى الأنفوشى الحاليين ، ونحو الجنوب الشرقى قلب المدينة التجارى الحالى حتى شارع صفية زغلول وطريق الحرية وامتداده حتى شارع سيدى المتولى فى الجنوب . وكانت معظم المباني والمنشآت التى أقيمت فى هذه المنطقة خاصة بالأجانب . فقد سجل مولر Charles Muller فى خريطته التى رسمها للمدينة عام ١٨٥٥ ثلاث عشرة قنصلية ، وأعدادا أخرى من الفنادق والمطاعم والمقاهى والكنائس الأقرنجية والمستشفيات الأجنبية ، وهذه كلها كانت مركزة فى هذه المنطقة وحدها . ومنذ ذلك الوقت وهى قلب المدينة التجارى . ومن الثابت أن معظم الأجانب الذين وفدوا على الاسكندرية خلال عصر محمد على كانوا يقيمون فى قلب المدينة حول ميدان المنشية الذى خطط فى عهده وشيدت المباني الأوروبية الطراز حوله .

ويرجع امتداد المدينة فى الاتجاهين الشمالى والجنوبى الشرقى الى منح محمد على الأوروبيين الأراضى على ضفتى ترعة المحمودية بعد حفرها ، فأقاموا عليها

المنازل تحيط بها المزارع والحدائق ، ولا سيما على الضفة الشمالية ابتداء من موضع قصر أنطونيادس الحالي في الشرق حتى حي كرموز الحالي في الغرب .

وفي عام ١٨٣٥ ، وبسبب انتشار الطاعون ، ألف لجنة قنصلية صحية برئاسة القنصل الانجليزي كامبل Campbell للنظر في وسائل تحسين الصحة العامة بالاسكندرية ، وقد استطاعت اللجنة أن تقوم بأعمال مقيمة ، كهدم الأكواخ القذرة في الأحياء الوطنية ، وزدب البرك والمستنقعات ، ونقل مدبغة الجلود من وسط المدينة ، وفتح طريق متسع من الحي الأوروبي الى الجمرق .

كذلك أنشأ محمد علي « لجنة تنظيم الاسكندرية » للنهوض بالمدينة ونظافتها وتوفير الشروط الصحية لها . وقد قامت اللجنة بأعمال هامة ، فقد اهتمت بتسهيل الحركة في الشوارع ، وتهوية المنازل ، وملاحظة المباني القائمة أو التي يراد اقامتها . كما حصلت على نقل جميع الجبانات الى خارج أسوار الاسكندرية ، وكان لهذه اللجنة الفضل في ادخال كثير من التحسينات على المدينة .

ومع أن عباس الأول ، الذي خلف محمد علي (١٨٤٨ - ١٨٥٤) لم يكن من الحكام البنائين مثل محمد علي ، الا أن اعتماده على انجلترا في حماية

الاستقلال الداخلى لمصر كما قررتة معاهدة لندن ١٨٤٠ / ١٨٤١ دعاه الى اسناد الخطوط الحديدية فى مصر الى شركة انجليزية ، فوقع معها عقدا لانشاء خط حديدى بين الاسكندرية والسويس ، نفذ منه فى عهده الجزء الواصل من الاسكندرية الى كفر الزيات (١٨٥٤) . وكان لانشاء هذا الخط أثر كبير فى عمران مدينة الاسكندرية ونموها وازدياد أهميتها .

وقد حظيت الاسكندرية فى عهد خلفه محمد سعيد باشا (١٨٥٤ - ١٨٦٣) برعاية خاصة ، اذ كان يحب المدينة ، وكان له قصر بالقبارى يقيم فيه . وفى عهده تم انشاء الخط الحديدى بين الاسكندرية والقاهرة ، كما ظهرت ترعة المحمودية تطهيرا شاملا حتى ليعده البعض حفرا جديدا لها . وفى الوقت نفسه تم وصل الاسكندرية بالقاهرة بخطوط التلغرافات الحديثة .

وسرعان ما جاء عهد اسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) ليقفز بالاسكندرية قفزة واسعة من التطور بفضل سياسته التى كانت تريد أن تجعل من مصر قطعة من أوروبا . فقد ازداد عمران الاسكندرية نتيجة لنمو التجارة الداخلية والخارجية بالمدينة ، ونزوح كثير من الأجانب اليها ، وتأسيس كثير من الشركات الأجنبية ، وافتتاح فروع لشركات النقل والسفن والملاحة والمصانع ، وفروع لبعض المصارف الأجنبية . وقد

ازدادت نسبة النشاط التجارى فى الميناء الى ٩٤ فى المائة من الصادرات المصرية كلها فى الفترة من

١٨٦٣ الى ١٨٧٣ .

وكان من مظاهر العمران فى المدينة أن اختلطت بها شوارع وأحياء جديدة ، مثل ضاحية الرمل ، التى أنشأ بها اسماعيل قصر الرمل ، ووهب قطعاً كثيرة من هذه الضاحية الى الأجانب ، فأقاموا عليها القصور الجميلة ، ومن هؤلاء الكونت زيزينيا - الذى ما تزال قطعة من الرمل تسمى باسمه حتى اليوم -

وكانت ضاحية الرمل هذه من قبل صحراء جرداء بها قرية صغيرة تسمى « الرمل » يسكنها عدد قليل من السكان ، وهى احدى قرى أربع كانت تتناثر بالمنطقة هى : الحضرة ، والرمل ، والسيوف ، والمنصورة . وعندما أخذت الاسكندرية ، بحدودها القديمة ، تضيق بسكانها ، أخذت تتجه بامتدادها شرقاً حيث الأراضى المتسمة الرخيصة . وقد كان الأجانب أكثر تقديراً من المصريين لقيمة هذه الأراضى ، فأخذوا فى شرائها . وكانت القطعة التى تتراوح مساحتها بين سبعة وعشرة أفدنة تباع بعشرين قرشاً .

وفى وسط المدينة كان هناك ميدان محمد على ، مركز التجارة الأوروبية فى الاسكندرية حيث تنتهى أهم شوارعها ، وقد أقامت المدينة فى هذا الميدان تمثالاً

بديعا من البرونز لمحمد علي في سنة ١٨٧٢ ، صنعة
المثال الفرنسي « جاكمون » Jaquemont وكان قد
عرض بمعرض باريس في نفس العام ، ونصب علي
قاعدة بديعة من الرخام الايطالي . وبالإضافة الى ذلك
كان الميدان محاطا بالنصب التذكارية الجميلة والفنادق
الفخمة ، والمتاجر الفنية .

وفي نفس الوقت فان نمو المدينة كان قد صاحبه
انشاء المرافق العامة كالمياه والنور الكهربائي والمجاري .
ففي عام ١٨٦٥ منحت الحكومة شركة «لييون وشركاه»
امتياز انارة الاسكندرية وضواحيها بغاز الاستصباح ،
ثم عدل هذا الامتياز بمنح الشركة حق الاضاءة
بالكهرباء .

وتعتبر الاسكندرية من أسبق مدن القطر المصري
في انشاء المجارى تحت الأرض . فقد أنشئت أولى
عمليات المجارى بها في عام ١٨٧٨ ، وأخذ المشروع
في التوسع مع تزايد السكان .

وفي عهد اسماعيل تم توصيل المياه العذبة مع
ترعة الحمودية ، وتم توزيعها بواسطة واپور مياه
الاسكندرية . وكانت الشركة الأجنبية التي تأسست
لهذا الغرض قد تأسست وأبرم العقد الأول معها في
عهد سعيد ، ثم تحرر العقد النهائي في عهد اسماعيل .

ومن الشوارع التي خطها اسماعيل شارع
ابراهيم الممتد من مدرسة السبع بنات الى ترعة
المحمودية ، وشارع الجمرک ، وشارع المعمودية ،
بالاضافة الى ستة شوارع أخرى ممتدة بين سكة باب
شرقي والطريق الحربي الذي كان يحيط بالمدينة . كما
أوصل جهة الرمل بالمدينة بخط حديدي، وجعلها مصيف
القطر المصري ، وفتح شارعاً عظيماً يمتد من باب رشيد
الى حدود الملاحة بزمَام المندرة ، ماراً بالسراى الحديوية
بالرمل ، طوله من باب شرقي الى السراى ٤٠٠ متر
وعرضه ١٢ متراً ، ومن السراى الى الملاحة ٤٠٠
وعرضه ثمانية أمتار ، ومد طريقاً من الملاحة الى ترعة
المحمودية . كذلك أنشأ حديقة النزهة على ترعة
المحمودية ، وجعلها متنزهاً هاماً ، وبنى سراى الحفائية
التي أنشئت بها المحكمة المختلطة . وبلغ سكان المدينة
في عهده ٢١٢٠٠٠ نسمة .

وعندما خشي اسماعيل مزاحمة بور سعيد بعد
انشائها للاسكندرية ، وأن تتحول اليها التجارة
الخارجية بعد أن قارب مشروع قناة السويس على
التمام ، عمل على توسيع ميناء الاسكندرية لتجذب اليها
السفن . وكان أول ما بدأ به اقامة حوض عائم من
الحديد لاصلاح السفن ، والحوض المبنى بالحجر مع
عهد محمد علي الذي أصبح مع الزمن لا يفي باصلاح
السفن كبيرة الحجم . وقد جلب الحوض الجديد مع

فرنسا فى سنة ١٨٦٨ - ثم أنشأ حاجز الأمواج الضخم الذى يقى الميناء طفيان الأمواج ، ويجمل السفن الراسية به فى مآمن من العواصف ، ولا يزال موجودا الى اليوم ، وهو جسر من الدبش والأحجار الضخمة ممتد من طرف شبه جزيرة رأس التين الى جهة العجمى ، وفيه البوغاز لمرور السفن منه - وأنشأ بداخل الميناء رصيفا للشحن والتفريغ ، وأرصعة أخرى ممتدة فى داخل الميناء - وقد تكلفت هذه الانشاءات ثلاثة ملايين جنيه ، وبدأ العمل بها فى ١٨٧١ وانتهى فى ١٨٧٩ - كذلك أنشأ عدة فنارات فى الاسكندرية ، أولها فئار العجمى سنة ١٨٧٣ وفئار حاجز الميناء سنة ١٨٧٦ ، وفئار القبارى سنة ١٨٧٧ -

وفى عام ١٨٦٣ افتتح اسماعيل الخط الحديدى من الاسكندرية الى موقع محطة بولكلى الحالى ، عن طريق جامع سيدى جابر ، وذلك بقطار يتكون من أربع عربات تجرها الخيول - ولم تلبث فى نفس العام أن استعملت قاطرة بخارية لجر العربات بدلا من الخيول -

فى ذلك الحين كان الأوروبيون قد أصبحوا جزءا من الحكومة فى المدينة ، وليسوا مجرد جزء من المجتمع الاسكندرى ، فقد اشتركوا فى الادارة ، وحفظوا بنصيب من السلطة التنفيذية فى المدينة ، وقد أعيد تنظيم البوليس فى الاسكندرية فى عهد اسماعيل ، واستخدم

البوليس فى المدينة خمسين رجلا من الأوروبيين أغلبهم من السويسريين - كما أنشئت المسارح فى الاسكندرية، كمسرح زيزينيا -

وقد كان هذا هو الوضع فى الاسكندرية عندما قامت الثورة العرابية ضد الوصاية الأجنبية والحكم المطلق - وقد تأثرت بها الاسكندرية تأثرا كبيرا -

الاسكندرية والاحتلال البريطانى سنة ١٨٨٢ :

على الرغم من عناية محمد على وخلفائه بتحسين مدينة الاسكندرية لحمايتها من الغزو الأجنبى ، وعلى الرغم من أن تحصين الاسكندرية عند وقوع الغزو البريطانى فى يولية ١٨٨٢ كان أفضل من تحصينها عند قدوم الحملة الفرنسية بما لا يمكن مقارنته ، الا أن التقدم الذى طرأ على التسليح فى أوروبا فى ذلك الوقت جعل تحصين الاسكندرية غير واف بمتطلبات الدفاع عنها ضد أسطول أوروبى حديث -

فقد رأينا كيف عهد محمد على الى جاليس بك بتحسين مدينة الاسكندرية حتى أصبح عدد حصونها فى عام ١٨٤٠ ، ستة عشر حصنا - وفى سنة ١٨٤٠ زاد عدد هذه الحصون حتى صارت ٢٥ حصنا - وفى عهد ابراهيم عمل على استكمال طوايب الاسكندرية واستحكاماتها ، وشحنها بالمسكر والأسلحة والآلات ،

وهو ما استمر في عهد عباس الأول ، حيث أضاف إلى
 حصون الاسكندرية قلعة مقابر اليهود وقلعة أبي قير
 وقلعة العجمي ، مع انشاء مبان ملحقة بتلك القلاع
 للوزامها . وعندما تولى اسماعيل الحكم عزز هذه
 الحصون بمدافع أحدث ، فابتاع من انجلترا فيما بين
 سنة ١٨٦٩ وسنة ١٨٧٣ مائتي مدفع من طراز
 أرمسترونج عيار ٧ بوصات ووزن ٧ أطنان ، وعيار
 ٨ بوصات ووزن ٩ أطنان ، وعيار ٩ بوصات ووزن
 ١٢ طنا ، وعيار ١٠ بوصات ووزن ١٨ طنا ، وهي مدافع
 يجرى شحنها من الأمام ، كما ابتاع أربعة مدافع عيار
 ٤٠ رطلا من نفس الطراز يجرى تحميلها من الخلف .
 ونصب في حصون الاسكندرية الأربعة مدافع الأخيرة ،
 و ٤٥ مدفعا من المدافع الأولى .

على أن المشكلة تمثلت في أن ساحل مدينة الاسكندرية
 لم يكن يصلح لاقامة حصون عليه تدفع عن المدينة شر
 القنابل الحديثة ، فقد كان سهلا منبسطا ليس به هضاب
 ولا جبال اللهم الا بعض التلال المصنوعة . وكان حصن
 أم قبيبة هو الحصن الوحيد المقام على تل مرتفع عن
 الأرض ، ولكن كل المدافع في الحصون كانت منصوبة
 في العراء بدون أن يعلوها أية سواتر تقي جنودها
 الاصابة ، الأمر الذي كان يعرضها لنيران مدافع السفن
 التي هي أعلى منها . وفي الوقت نفسه كانت هذه
 المدافع ، فيما عدا مدافع الأرمسترونج التي كانت

مزودة بسواتر عالية وسخيفة ونها كوات مناضبة ، قطعاً عتيقة ليست لها أية قيمة حربية ، فكان مزمارها قصيراً وليس لمقذوفاتها القوة اللازمة لاختراق مسدسات الأسطول البريطانى ، حتى ليذكر أن سفينة القيادة البريطانية « الكساندرا Alexandra » أصيبت بستين قنبلة من هذا النوع ، فلم تسفر الا عن قتل جندى واخذ وجرح ثلاثة ! -

والى جانب حصن أم قبيبة المقام على تل مرتفع ، كان يوجد حصن قايتباى الذى كان فى طبقته السفلى المسقوفة مدفعية مستورة بطبقته العليا ، ولكن جدرانته لم تكن من المتانة بحيث تستطيع مقاسومة تأثير مدافع الأسطول .

كذلك كان فى كل الحصون - بدون استثناء - مبان عديدة مرتفعة عن ستائرهما ، مثل مستودعات القنابل ، والثكنات ، والمخازن . وكانت هذه المباني المرتفعة بهذه الكيفية كأنها نصبت لتكون هدفاً عجبياً لا تخطفه نيران مدافع الأسطول . وكانت مستودعات البارود بصفة خاصة غير مصنوعة الصيانة الكافية .

وقد كانت الحصون التى كانت معرضة لمدافع الأسطول البريطانى فى سنة ١٨٨٢ هى أربعة عشر حصناً ، كان منها أربعة غير مجهزة بمدافع أرمسترونج ،

وهي طوايبى : صالح آغا (ولا تزال باقية الى اليوم ،
ومعروفة باسم : طابية صالح ، وكانت تقوم باطلاق
المدافع لتحية السفن الحربية القادمة الى الاسكندرية) -
وبرج رقم ١٥ ، والقمرية ، والدخيلة - ولم تكن لها -
بالتالى - أية فاعلية دفاعية - أما العشر الأخرى فكانت
طوايبى : السلسلة ، وكانت تشغل الرأس الداخلى فى
البحر الذى حولته البلدية الى متنزه ، وكان بها مدفعان
أرسترونج - وطابية قايتباى ، وبها ستة مدافع ،
وطابية الأطل ، ولا تزال فى موضعها كما كانت الى
الآن شرقى حمام الأنفوشى - والأطل كلمة تركية معناها :
« الجزيرة » ، وهذه الطابية الآن تعرف عند الناس
باسم : طابية القضا - وكان بها أربعة مدافع ، وطابية
الاسبتالية ، وتقع الى الشرق من طابية الأطل ، وكان بها
مدفعان فقط - وطابية رأس التين ، وبها خمسة مدافع -
والقنار ، وبها ست مدافع ، وطابية أم قبيبة (أو أم
كبيبة) ، وكان بها مدفعان - وطابية المكس وهي
قائمة الى الآن قرب باب العرب ، وبها خمسة مدافع -
وطابية العجمى ، وكان بها تسعة مدافع - وطابية
المرايط ، فى جزيرة العجمى أو المرايط ، وبها ثلاثة
مدافع -

وقد جرت محاولة لنقل اثنى عشر مدفعاً من طراز
أرسترونج الى طوايبى المكس ، والدخيلة ، والمرايط ،

ولكن كل هذه المدافع لم يمكن تركيبها في هذه الحصون قبل ضرب الأسطول الانجليزى .

وقد كانت حامية الحصون مؤلفة من آلى مدفعية سواحل مجموع قوته ١٧٦٢ ضابطا وصف ضابط وجنديا ، وهذا الآلى هو الذى كان عليه الدفاع عن الحصون رغم ما بها من عيوب ونقص . وكان يقوده أمير الآلى اسماعيل بك صبرى ووكيله القائمقام محمد بك نسيم (وهو والد توفيق نسيم باشا الذى أصبح رئيسا لوزراء مصر بعد ذلك . وبه ثلاث أوط يرأس الأولى البكباشى عبد العال أبو العلا ، والثانية سيف النصر (والد حمدى سيف النصر الوزير الوفدى فيما بعد) والثالثة يقودها البكباشى محمد أفندى شرمى .

وعندما تطورت أحداث الثورة العربية ووصل الى الاسكندرية فى مايو ١٨٨٢ كل من الأسطول الانجليزى والأسطول الفرنسى للتدخل عند اللزوم ، أخذ الأجانب فى مصر يهاجرون الى الاسكندرية ليكونوا تحت رعاية الأسطولين وعلى مقربة منهما ، وأخذوا يستعدون للقتال ضد الأهالى . وعقد قناصل الدول فى الاسكندرية عدة اجتماعات سرية تشاوروا فيها فى تأليف قوة دفاع أوروبية فى المدينة ضد الأهالى . ولمح الأهالى هذه الاستعدادات وشراء الأوروبيين الأسلحة ، فتوجسوا

شرا ، وازداد شعور السخط على الدول الأوروبية ورعاياها ، واشتدت عوامل الفتنة وهياج الخواطر . وفى تلك الظروف وقعت بين الأجانب والشعب الاسكندري ما عرف باسم « مذبحه الاسكندرية » ، فى ١١ يونية ١٨٨٢ ، التى قتل فيها ٣٨ أجنبيا و ١١ مصرية ، وجرح ٣٦ أجنبيا و ٣٣ وطنيا .

ومنذ أول يولية أخذ الأسطول الانجليزى يتحرش بحكومة الثورة . فعندما قرر مجلس الوزراء طلب الترخيص من السلطان فى تعمير الحصون التى كان أوقف العمل فيها بأمر شاهانى ، طلب مجلس الأميرالية الانجليزية من الأميرال سيمور Seymour قائد الأسطول الانجليزى منع كل محاولة لخلق البوغاز الموصل للميناء ، وانذار القائد المصرى اذا باشر إعادة العمل فى الحصون أو نصب فيها مدافع جديدة ! وإذا لم يوقف العمل فى الحال ، فان على الأسطول الانجليزى تدمير الحصون واسكات مدافعها اذا أطلقت النيران ، بعد اعطاء الأهالى والسفن التجارية والحربية الأجنبية المهلة الكافية . وفى يوم ٣ يولية عندما نصب مدفعان فى قلعة قايتباى ، أراد الأميرال سيمور توجيه الانذار الى القائد المصرى ، ولكن قنصل بريطانيا طلب تأجيله حتى يجد الأوروبيون فرصة الهجرة الى القاهرة ، فى الوقت الذى أرسل عرابى الى القائد الانجليزى يبلغه أنه ليست هناك أية نية لسد مدخل البوغاز . وقد

اعترضت الحكومة الفرنسية على تصرف الحكومة الانجليزية ، وقررت أنها لا تستطيع أن تعطي تعليمات لقائد أسطولها بأن يمنع بالقوة بناء الحصون أو نصب المدافع في ميناء الاسكندرية ، لأن مثل هذا العمل يعد عملاً عدائياً هجومياً ضد مصر - وأرسلت إلى قائد الأسطول الفرنسي تعليمات بالألا ينضم إلى الأميرال سيمور إذا وجه هذا انذاراً نهائياً للمصريين يختص بتحسيناتهم ، وأن يتسحب إذا أصر الأميرال سيمور على إطلاق النار - وفي نفس الوقت أرسل السلطان العثماني برقية إلى الخديو تحمله المسؤولية إذا لم يوقف أعمال تعزيز الحصون لأن أعمالاً كهذه تدعو الأسطول الانجليزي لضرب الاسكندرية - وقد أكد القائد المصري للأميرال سيمور في يوم ٥ يولية أنه لم يوضع أى مدفع جديد في الحصون ، ولم يتم عمل ما -

وفي تلك الظروف وجه قناصل الدول الكبرى بالاسكندرية مذكرة إلى الأميرال سيمور تبلغه بأن وفرة المصالح الأجنبية في الاسكندرية ، وما لهم من أملاك فيها ، تضطرمهم إلى الاستعلاء منه عما إذا كان ينوى ضرب الاسكندرية ؟ وفي هذه الحالة من يقوم بترحيل الرعايا الأوروبيين ؟ وحذروا من أن ضرب الاسكندرية سوف يترتب عليه أخطار جسيمة على المسيحيين والأهالي معاً ، وتدمير ما لا يعد ولا يحصى من أملاك الأوروبيين -

وقد رد الأميرال سيمور بأنه اذا قرر ضرب الاسكندرية فان أعماله الحربية سوف توجه الى الحصون ، ولن يكون هناك خوف من وقوع دمار للأماكن الخصوصية التي يخشون عليها . وفى يوم ٦ يولية اتهم سيمور اللواء طلبية عصمت ، القائد الحربي للاسكندرية ، بتركيب مدفعين ومحاولة اقامة أعمال اخرى على شاطئ البحر ! وقد نفى اللواء طلبية عصمت ذلك ، وأضاف الى ذلك تكذيبه لآخبار سد البوغاز . على أن الأميرال سيمور لم يأبه لكل هذه التكذيبات من السلطات المصرية عن اتخاذها تدابير حربية ، وأبلغ الأميرالية الانجليزية يوم ٩ يولية بأنه سوف يخطر قناصل الدول الأجنبية فى الاسكندرية فى اليوم التالى بأنه سوف يشرع فى الضرب بعد ٢٤ ساعة اذا لم تسلم له الحصون القائمة على البوغاز والتي تشرف على مدخل الميناء ! وفى يوم ١٠ يولية خفف هذه الشروط الى تسليم البطاريات المنصوبة بشبه جزيرة رأس التين وعلى ساحل ميناء الاسكندرية الجنوبي ، وتشمل طايبية قايتباى ، ورأس التين ، والاسبتالية ، وطايبية صالح ، وطوايبى أم قبيبة ، والقمرية ، والبرج نمرة ١٥ ، والمكس ، والدخيلة ، والمعجمى ، وذلك لتجريدتها من السلاح . وقد ردت الحكومة المصرية على هذا الانتذار بالرفض ، لأن التسليم به يعرض مصر للاحتلال دون مقاومة . وبذلك أصبح ضرب الاسكندرية بمدافع الأسطول البريطانى أمرا محتوما .

فى ذلك الحين كانت الاسكندرية تتعرض لهجرة واسعة من الأجانب المقيمين بها ، لتأمين أنفسهم اذا نشبت الحرب ، خصوصا بعد أن تأزم الموقف بين الوطنيين والأجانب فى مذبة الاسكندرية . ولذلك أخذ الأوروبيون فى الرحيل عن الاسكندرية منذ اليوم التالى للمذبة ، حتى بلغ عدد الراحلين منهم يوم ١٢ يونية ١٨٨٢ أكثر من عشرة آلاف مهاجر ، نزّلوا الى البحر متفرقين فى البواخر والسفن الشراعية ، ثم كثرت جموع المهاجرين يحملون أموالهم وأمتعتهم فى الأيام التالية حتى بلغ عدد الراحلين يوم ١٨ يونية ٣٢٠٠ مهاجر . وعندما أيقن القناصل بأن الحرب لا بد واقعة ، نصحوا رعاياهم بالرحيل عن المدينة ، حتى بلغ عددهم قبل يوم الضرب نحو ستين ألفا ، وهو ما يمثل ٩٩ فى المائة من عددهم الأصلي .

وفى الثلاثاء ١١ يولية ١٨٨٢ أعطى الأميرال سيمور إشارة الضرب ، الذى استمر من الساعة ٧ صباحا الى السادسة مساء مع راحتين قصيرتين ، وترتب عليه اسكات حصون الفنار ، ورأس التين ، والاستبتالية ، والمكس ، وأم قبيبة ، والدخيلة ، وقايتباى . وقد أصيبت بأضرار بالغة فيما عدا حصنى السلسلة والعجمى ، ولم يصب حصن صالح أذا الا بأضرار يسيرة . كما أصيبت مدينة الاسكندرية ذاتها بأضرار بالغة ، فقد كانت قنابل الأسطول الضخمة تنهال على المدينة وتخترق

أحياءها في كل جهة ، وتدمر المنازل وتشعل النيران في كل مكان - وقد قتل من المصريين ٧٠٠ وجرح ٥٠٠ ، واستشهد من رجال الطواحي وحدهم مائة رجل بعد أن دافعوا عن مواقعهم دفاعا مجيدا رغم انكشاف مواقعهم وضعف تسليحهم ، حيث كانت المدافع القديمة لا تصل إلى السفن الانجليزية ، ومدافع أرمسترونج الحديثة تخلو من المساطر اللازمة لضبط المسافات واحكام الاصابة .

وقد تغانى الأهالى فى الدفاع عن المدينة ، رغم أن الحرب كانت حرب مدافع وحصون وبوارج ، فكان الرجال والنساء تحت مطر القنابل ونيران المدافع ينقلون الذخائر الى الطوبجية فى الحصون ، ويتغنون بلعن الأميرال سيمور ومن أرسله - ويقول محمود باشا فهمى فى كتابه : البحر الزاخر : « رأيت فى ذلك الوقت بعينى ما حصل من غيرة الأهالى بجهة رأس التين وأم كبيبة وطواحي باب العرب ، وهمتهم فى مساعدة عساكر الطوبجية ، من جلبهم المهمات والذخائر وخراطيش البارود والمقذوفات ، وهم ونسائهم وأولادهم وبناتهم ، والبعض من الأهالى صار يعمر المدافع ويضربها على الأسطول ، على الرغم من عدم جدوى الضرب ، حيث لم يصب من الانجليز الا ٦ قتلى و ٢٧ جرحى - وقد اعترف الأميرال سيمور بصلاية دفاع المصريين فى تقريره الى الأمرالية الانجليزية فقال :

« لقد قاتل المصريون قتال الأبطال بأقدام ثابتة ،
وكانوا يردون على النيران الشديدة التي كانت تصيبها
على حصونهم مدافعنا الضخمة ، الى أن قتل عدد كبير
منهم » .

وقد أيقن العراييون في يوم ١٢ يولية أن الانجليز
احتلوا الاسكندرية بعد أن دكوا حصونها ، فاستقر
عزمهم على الانسحاب من المدينة ليستعدوا للمقاومة في
الداخل ، وقرروا تعطيل احتلال المدينة واستقرارهم
فيها عن طريق اضرام النار في المدينة . فأمر سليمان
داود ، قائد الآلاى السادس ، جنوده بإشعال النار في
المدينة في نحو الساعة الثانية بعد الظهر ، وأخذ الحريق
يمتد حتى صارت الاسكندرية شعلة من النار في مساء
ذلك اليوم ، واستمرت النار تضطرم فيها الى اليوم
التالى ، واشترك في الحريق بعض الأوروبيين ، وبخاصة
من الأروام المالمطيين الذين بقوا في المدينة بعد هجرة
معظمهم ، وكانوا يقصدون من ذلك المطالبة بالتعويضات
بعد انتهاء الحرب . كما اشتركوا أيضا في النهب .
وكان هذا الحريق على غير رأى عرابى باشا وزير
الحربية والوزراء ، فانفرد باحداثه سليمان داود الذى
تحمل مسئوليته .

على أن الهجرة من المدينة كانت قد بدأت فور تحقق
الأهليين يوم الضرب بغوز الأسطول الانجليزى ، وتأكدوا

من قرب نزول الانجليز الى المدينة • فأخذوا يهاجرون منها الى داخل البلاد فى مساء يوم ١١ يولية ، وتدفقوا على محطة السكة الحديد لركوب القطارات التى أعدت لهم مجاناً ، وأخذت تنقلهم الى المدن الواقعة على الخط الحديدى • وفى اليوم التالى حث سليمان داود الأهالى على الرحيل عن المدينة على الفور تمهيدا لاضرام النار فيها ، وأوعز الى جنوده بنهب ما تصل اليه أيديهم قبل الانسحاب • فاجتمعت أهوال الحريق مع فظائع النهب على جعل هذا اليوم أسوأ الأيام فى تاريخ المدينة ، وهرب منها فى ذلك اليوم العصيب ١٥٠ ألفاً وهم يندفعون خارجها فى جنون •

وسرعان ما احتل الانجليز الاسكندرية ، وقام جنودهم بإطفاء الحرائق ومطاردة من يحرقون المباني وينهبونها • وأخذوا فى اقرار النظام فى المدينة عن طريق بث الحراس والخبراء فى أنعائها لمنع النهب • وكانت المدينة قد خلت من سكانها تقريبا بعد أن هاجروا منها • وأذن الانجليز للسكان بفتح محلاتهم ومخازنهم ، وعادت شركة الغاز الى عملها ، وأمكنها فى عشرة أيام أن تستأنف ائارة شوارع المدينة وطرقاتها بنغاز الاستصباح ، وعادت أعلام القنصليات تخفق فوق مراكزها قبل انقضاء شهر يولية ، وأخذت بعض المحال التجارية ، التى نجت من الحريق ، فى فتح أبوابها واستئناف عملها • وبذلت قوات البوليس جهدا كبيرا

في حمل جثث القتلى من الشوارع والأزقة ، وإزالة
الأنقاض من الطرق التي تهدمت منازلها ، وهدم
الأمكن المتداعية للسقوط ، وأقيمت بعض المباني
الخشبية على جوانب ميدان محمد علي (المنشية) للمبيت
بها أو اتخاذها دكاكين للتجارة أو مطاعم .

ومع استقرار الاحتلال الانجليزي في مصر ، أخذ
الاستقرار يعود مرة أخرى الى الاسكندرية ، كما أخذ
النشاط التجاري يدب فيها من جديد ، وفي ٥ يناير
١٨٩٠ أنشئ مجلس بلدى للمدينة بمرسوم ، وكان
يتكون من أعضاء مصريين وأجانب ، وكانت اختصاصاته
شبيهة باختصاصات لجنة التنظيم التي كونها محمد علي
بعد دخوله الاسكندرية . وكان لهذا المجلس الفضل في
تخطيط الأجزاء الحديثة من مدينة الاسكندرية ، لا سيما
تلك التي عمرت خلال القرن الحالى .

الاسكندرية في عهد الاحتلال البريطانى :

كان في عهد الاحتلال البريطانى أن ازداد الطابع
الأوروبى لمدينة الاسكندرية الى درجة ميزتها عن بقية
مدن القطر ، فقد عاد الأوروبيون الى المدينة بعد أن
هاجروا منها ، وأخذت أعدادهم تتزايد حتى بلغت فى
تعداد ١٨٩٧ أكثر من ٤٦ ألف نسمة ، أى ما يعادل
١٤٥ فى المائة من جملة سكان المدينة .

وكان اليونانيون أكثر الأجانب عددا ، حيث بلغ
١٥١٨٢ نسمة ، يليهم الايطاليون (١١٧٤٣ نسمة)
ثم الانجليز (٨٣٠١) ، والفرنسيون (٥٢٢١)
والنمساويون (٣١٩٧) . وكان هؤلاء جميعا يكونون
٩٤٦ في المائة من جملة الأجانب في المدينة .

وفي خلال الربع الأول من القرن العشرين واصل
الأجانب تزايدهم في الاسكندرية ، فبلغ عددهم في عام
١٩١٧ ضعف هذا العدد قبل عشرين عاما ، أى ٨٤٧٠٥
نسمة - وفي عام ١٩٢٧ بلغ عددهم ٩٩٦٠٥ ، وتركز
النشاط الاقتصادي في أيديهم مع تدفق رؤوس الأموال
الأجنبية ، ووجود الامتيازات الأجنبية .

ويلاحظ فيما يتعلق بمناطق تركيز الأجانب في
المدينة أن ذلك التركيز حدث على طول الواجهة البحرية
للمدينة من ميدان المنشية غربا الى منطقة بولكلى شرقا ،
وكانت أعداد الأجانب تزداد باضطراد نحو الشرق ،
بينما كانت تتناقص في الغرب ، كما يشير الى ذلك
تعداد سنتي ١٨٩٧ و ١٩٤٧ -

وكانت المجتمعات الأوروبية في الاسكندرية منظمة
وفعالة ، ولكل جالية أوروبية أعيادها القومية ،
وكنيستها أو معبدها ، ورجال الدين ، ومدارسها ،
ومستشفياتها ، ومدافنها - كما كان لكل جالية حفلاتها
المتميزة الخاصة بالزواج وغيره -

وكانت الجالية اليونانية هي أكبر الجاليات الأجنبية بالاسكندرية ، وحسب تعداد عام ١٩٤٧ كانت نسبتهم في المدينة تبلغ حوالى نصف عدد الأجانب ، وكانوا يشعرون بأنهم في بلادهم ، فهي مدينة الاسكندر ، وقد بدأت العائلات اليونانية تستقر في الاسكندرية في عهد محمد علي ، ومنذ حوالى عام ١٨٣٠ أصبح اليونانيون يكونون جالية لها نظامها التعليمي ونشاطها الخاص بالخدمات والمشروعات . وعندما حصلت اليونان على استقلالها من الباب العالي في أوائل الثلاثينيات من القرن التاسع عشر ، وضعت الجالية اليونانية نفسها تحت حماية الدولة الوليدة ، وصار قناصلها العامون الرؤساء القصريون لتلك الجالية .

وفي مدى قرن من الزمان تضاعفت المؤسسات اليونانية المالية بالمدينة ، مثل *Tozzina* ، *Cozzika* ، *Benachi* ، *Salvago* . وزاد نشاطهم الثقافي والاعلامي حتى انه في الفترة ما بين عامي ١٨٦٢ و ١٩٧٢ أصدر يونانيو الاسكندرية وحدهم ٢٥٣ جريدة ومجلة ، أغلبها باللغة اليونانية ، وبعضها بلغات مختلفة ، منها العربية ، مثل «المخير المصري» عام ١٨٨٧ ، و «المنارة» عام ١٨٨٩ ، و «النور التوفيقي» عام ١٨٩٢ ، والبهلول ، والنور ، وأبو الهول في عام ١٩٠٣ ، و «اليوناني المتصر» بالعربية واليونانية في عام

١٩٣٢ ، والراعى الصالح بالعربية ١٩٤٠ ، مما يشير الى أن اليونانيين اعتبروا أنفسهم مصريين .

وفي نفس فترة المائة عام الماضية أنتج يونانيو القطر المصرى ما يقرب من خمسة آلاف وخمسمائة كتاب وكتيب ، وقدم الكثير من يونانيى الاسكندرية دراسات تتعلق بمصر عامة والاسكندرية خاصة فى التاريخ والأدب واللغة . بل أخرجت مطابع الاسكندرية كتباً ليونانيين تتعلق بقضايا مصرية ، ومعجما فى اللغتين اليونانية والعربية طبع عام ١٨٩٨ ، وترجمة للقرآن الكريم فى ثلاث طبعات أخرجت الاسكندرية واحدة منها فى عام ١٨٧٩ .

ويلي اليونانيون فى الأهمية فى الاسكندرية الايطاليون ، الذى كانوا يكونون جالية كبيرة يقدر عددها فى أوائل الثلاثينات من القرن الحالى بـ ٢٧ ألفاً . وقد وفدوا الى مصر فى حركات هجرة فردية قبل توحيد ايطاليا فى عام ١٨٧٠ . واستمرت هذه الهجرة فردية دون مساعدة من المؤسسات الاقتصادية والمالية والصناعية فى ايطاليا . وكانت لهم مجموعة من المدارس أهمها مدرسة رأس التين الحالية ، وما أصبح كلية الزراعة بجامعة الاسكندرية الحالية . كما كان لهم مستشفاهم بالمدينة الذى كان يسمى مستشفى بنيتو موسولينى بالحضرة . كما كانت لهم صحيفتهم *Il Messaggero Egiziano*

ومؤسساتهم الاقتصادية مثل Banco di Rama والبنك التجارى ، أو الغرفة التجارية الإيطالية .

ويلى الفرنسيون الإيطاليين فى الأهمية فى الاسكندرية . وتكمن أهميتهم فى مؤسساتهم التعليمية التى كانت كثيرة ومتعددة الدرجات . ففى أوائل الثلاثينيات من هذا القرن كانت المعاهدة الفرنسية تضم ١١٠٢١ طالبا ، منهم ٥٦١ فرنسيا . وكان يقوم بذلك النشاط ثلاثون مؤسسة فرنسية بالاسكندرية ، منها البعثة العلمانية Mission Laïque التى كانت تمتلك وتدير Le Lycée d'Alexandrie - الفرير Frère Des Ecoles Chrétiennes التى كانت تمتلك كلية سان مارك ، وكلية سانت كاترين فى محرم بك وباكوس .

أما البريطانيون ، فعلى الرغم من أن معظم أعضاء الجالية البريطانية بالمدينة كانوا من أهل مالطة ، إلا أن المؤثرات الانجليزية فى مجتمع الاسكندرية كانت واضحة ، فكانت لهم مدارسهم ، ومستشفاهم ، ونشاطهم الخيرى والانسانى ، ومؤسساتهم الاجتماعية والتجارية . فقد أسسوا كلية فيكتوريا فى الأزاريطة عام ١٩٠١ ، على نمط المدارس الانجليزية Public schools لجميع الجنسيات ، ثم نقلت الى مقرها الحالى فى سنة ١٩٠٩ ، ومدرسة St. Andrew's فى سنة ١٨٥٩ ، التى استقر

المطاف بها فى حى السلسلة فى عام ١٩٠٠ • وكانت لهم مدرسة للبنات Scottish School ثم ال British Boy's فى عام ١٩٢٨ • كذلك كان للانجليز مؤسساتهم الصحية والاجتماعية والثقافية والرياضية ، مثل المستشفى الانجليزى Anglo-Swiss ونادى الكتاب British Book Club ونادى سبورتنج Sporting ، ونادى الاتحاد Union Club • كذلك تأسس نادى اليخت British Boat Club سنة ١٩١٩ • كما كونوا فرقا للكشافة فى عام ١٩١٢ وأخرى للمرشدات فى عام ١٩٢١ •

وفى عام ١٨٩٦ تأسست الغرفة التجارية الانجليزية بالاسكندرية ، التى كانت كل من السلطات المصرية والبريطانية تعمل لها كل حساب ، على اعتبار أن أعضاءها يعبرون عن رأى العام البريطانى فى مصر • وحتى عام ١٩٣٠ كان رئيس تلك الغرفة بالاسكندرية يرأس أيضا الغرفة التجارية الانجليزية فى مصر • والى الانجليز فى الاسكندرية يرجع الفضل فى تأسيس جمعية الرفق بالحيوان Society for the Prevention of Cruelty to Animals

والى جانب هذه الجنسيات فى الاسكندرية وجدت الجالية اليهودية التى كانت تتكون من جنسيات مختلفة • وقد وفد اليهود الى الاسكندرية من قبل مجيء الحملة الفرنسية ومحمد على الى مصر • فقد اجتذبت

الاسكندرية اليها يهود رشيد وادكو في عام ١٧٠٠ ،
حيث استقروا الى الشرق من المدينة - وفي منتصف
القرن ١٨ اجتذبت الاسكندرية يهود رشيد ودمياط
والقاهرة - وفي عهد محمد علي زاد عدد اليهود ، وفي
سنة ١٨٥٠ تمكنت الجالية اليهودية من اتمام معبدها
بالاسكندرية **Elijahon Hannabi** - وقد استطاعوا
تنظيم أنفسهم بالمساعدات الخيرية الأوروبية ،
وأنشأوا مختلف المؤسسات التعليمية والصحية
والرياضية والاجتماعية بالمدينة - وعند بداية الحرب
العالمية الأولى وفد على الاسكندرية أكثر من عشرة آلاف
من يهود فلسطين ، وكان من بينهم نسبة كبيرة من
الروس - وقد أسس اليهود في مصر جريدة « الليبرتيه
La Liberté » باللغة الفرنسية ، وشعارها حماية مصالح
مصر ، وكانت تدافع عن سعد زغلول والوفد - كما
اشتغلوا بالحركة الصهيونية والحركة الشيوعية -

وقد عمل الأوروبيون في الاسكندرية في جميع
الأعمال تقريبا ، ومارسوا كل الحرف - وقد عمل
اليونانيون خاصة بالبقالة ، فكان البقال اليوناني هو
أول أوروبي يراه الانسان في الاسكندرية - بل وفي
كل مكان في مصر - كما عمل الايطاليون في الاسكندرية
كصانعي أثاث، وصانعي أقفال ، وفي مجال البناء ، كما
عملوا أطباء ومحامين - وقد نافسوا بأيديهم وعقولهم

المصريين ، وكانوا - مثل اليونانيين - يتكلمون اللغة العربية كأهلها .

وقد ترك الأوروبيون بصماتهم على مظاهر الحياة في الاسكندرية وفي مبانيها وحدائقها وشواطئها . فالانجليز في ضاحية الرمل بنوا لأنفسهم منازل خاصة Cottages على الطراز الانجليزى ، والايطاليون بنوا منازلهم بشرفات Pergolas على الطراز الفلورنسى ، وشيد اليونانيون المدارس والعمائر على الطراز الأثينى . وانعكس الطابع الأجنبى على الحى التجارى ، مثل شارع شريف ، حيث كانت ترفرف أعلام الدول أيام الاتحاد والمعطلات على كل باب وشرفة وشارع ، وكانت المحلات متعددة الجنسيات ، فهذا يقال يونانى أو من نابلى ، وبجواره بائع جبن من الدنمارك ، والآخر بلغارى يصنع الزبادى Yoghurt ، وبجواره تركى يبيع السجاد ! ويمائل شارع شريف فى ذلك تماما شارعاً فؤاد وسعد زغلول . وفى الوقت نفسه كانت شواطئ الاسكندرية - وما تزال - تحمل أسماء أوروبية ، مثل كامب شيزار ، وسبورتنج ، وستانلى ، وجليمونوبولو ، وزيزينيا وكانت بورصة القطن والأوراق المالية فى المدينة تحفل بالتشاطر المالى الذى كان له أثره على مجتمع الاسكندرية .

وعلى طول فترة الاحتلال البريطاني كانت الاسكندرية قاعدة من قواعد الأسطول البريطاني كلما ظهرت أزمة عالمية تهدد بالحرب ، وقد لعبت دورا هاما في الحرب العالمية الأولى بعد أن اتخذتها انجلترا قاعدة لأسطولها في البحر المتوسط . وعندما قامت الحرب العالمية الثانية أصبحت الاسكندرية أكبر قواعد الأسطول البريطاني ، ومركزا للعمليات الحربية في الصحراء الغربية ضد الطليان وقوات المحور . واستخدم الحلفاء قطاراتها ، كما صارت طرقها الى مرسى مطروح والقاهرة من أهم الخطوط الحربية بالنسبة لانجلترا .

وكان من الطبيعي أن تدفع الاسكندرية ثمن هذا الدور على يد المحور ، فتعرضت لغارات الألمان رغم اعلان الحكومة المصرية موقف الحياد ، وتعرضت الاسكندرية لكثير من الدمار خلال هذه الغارات ، ثم جاء الخطر الأكبر على يد روميل ، الذي لولا انكسار قواته أمام استحکامات العلمين عند الكيلو ١٢٨ غرب الاسكندرية - لدخلت الاسكندرية وألحقت بها من الدمار ما يلحق المدن التي تتعرض للغزو .

الاسكندرية في عصر الاستقلال الوطني :

مر الاستقلال الوطني في مصر بثلاث مراحل : الأولى ، مرحلة الاستقلال الناقص بتصريح ٢٨ فبراير

١٩٢٢ من جانب بريطانيا - وقد أرسى الحكم الدستوري وأقام حكومات دستورية مسئولة أمام البرلمان - ثم مرحلة انتهاء الاحتلال البريطاني وتحول جيش الاحتلال الى جيش حليف بمعاهدة ١٩٣٦ - والمرحلة الثالثة هي مرحلة ثورة يوليو ، وفيها وقعت معاهدة الجلاء مع بريطانيا في ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ ، التي سقطت تلقائيا بالعدوان الثلاثي على مصر في ٢٨ أكتوبر ١٩٥٦ -

وفي خلال هذه المراحل الثلاث شهدت الاسكندرية أحداثا وطنية وقومية عظيمة - فقد شهدت انشاء جامعة الدول العربية في ٧ أكتوبر ١٩٤٤ بعد اجتماع وفود الدول العربية بمبنى ادارة جامعة الاسكندرية ، وصدرت الوثيقة الأولى لجامعة الدول العربية في هذا الشأن ، وهي التي عرفت باسم « بروتوكول » الاسكندرية -

كذلك شهدت رحيل الملك فاروق في مصر في ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، بمثل ما شهدت دخول أول ملك ، وهو محمد علي في يوم ٢١ سبتمبر سنة ١٨٠٧ - فعلى الرغم من أن الملك فاروق كان موجودا بقصر المنتزه ، وكانت الوزارة مجتمعة بمقرها الصيفي في بولكلي عند قيام الثورة ، الا أن الاسكندرية سارعت الى اعلان تأييدها للثورة ، وأعلنت القوات البحرية ولاعها للثورة التي عنيت بتأمين الثغر بجزء من الجيش - وفي يوم السبت

٢٦ يوليو توجه القائد العام للجيش اللواء مجيد نجيب
يرافقه الرئيس الراحل السادات الى مقر الوزراء الصيفي
في الاسكندرية ، واتفقا مع رئيس الوزراء على ماهر
على تسليم الانذار الموجه من قيادة الثورة الى الملك
بالتنازل عن العرش ومنادرة البلاد في اليوم نفسه .
وبالفعل تم توقيع وثيقة التنازل التاريخية في قصر
رأس العين ، وغادر الملك فاروق الاسكندرية الى الأبد
متوجها الى ايطاليا .

كذلك شهدت الاسكندرية اعلان تأميم شركة قناة
السويس البحرية العالمية في ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ،
الذي كان المقدمة الطبيعية لمؤامرة العدوان الثلاثي على
مصر في أكتوبر من نفس العام . وقد لعبت المدفعية
المضادة للطيران في الاسكندرية دورا هاما في حماية
الأسطول البحري المصري في الاسكندرية من غارات
الأعداء .

وفي الوقت الذي كانت الاسكندرية تشهد هذه
التطورات السياسية ، كانت تشهد تطورا عمرانيا
وحضاريا لم يسبق له مثيل ، وتحتل مركزا لم تحتله
طوال تاريخها الطويل . ففي عام ١٩٢٥ أقيمت ضاحية
مسموحة بعد تجفيف بحيرة الحضرة وتصريف مياهها الى
بحيرة مريوط . وفي عام ١٩٣٤ أنشئ أعظم عمل
عمراني بانشاء طريق الكورنيش على امتداد ٢٠

كيلومترا من قصر المنتزه شرقا الى قصر رأس التين غربا .
وفي عام ١٩٣٨ أنشئ في الاسكندرية فرعان لكلية
الآداب والحقوق ، ثم أنشئ في عام ١٩٤١ فرعاً لكلية
الهندسة . وكانت هذه الفروع الثلاثة نواة جامعة
الاسكندرية التي صدر قانون بانشائها في عام ١٩٤٢ .

وبفضل الكورنيش قامت الاسكندرية ببناء أكشاك
الاستحمام والحمامات على امتداد الشاطئ ، كما
استغلت هذا الكورنيش الطويل بأن جعلت منه أجمل
واجهة لمدينة الاسكندرية ، كما أصبحت حركة
الاصطياف من أهم موارد الاسكندرية في فصل الصيف .
وقد انتشرت على طول الشاطئ الكازينوهات السياحية
ابتداء من شواطئ المنتزه والمعمورة وأبى قير شرقا ،
الى شواطئ العجمي وهانوفيل وسيدى كرير غربا .

وكان قصر المنتزه ، وهو القصر الذي كان مقراً
صيفياً للأميرة المالكة السابقة قد بنى على ربوة عالية
تطل على أجمل شاطئ في الطرف الشرقى للمدينة ،
وسط حديقة كبيرة فريدة تبلغ مساحتها مع الغابات
المحيطة بها نحو ٣٧٠ فداناً . وقد أصبحت حدائق
وشواطئ المنتزه مفتوحة للشعب بعد قيام الثورة ،
التي حولت مبنى السلامك الملحق بالقصر فندقاً
سياحياً . وفي عام ١٩٦٤ أقيم فندق فلسطين في
الحديقة . وتم استغلال الشاطئ في تشييد الكبائن

البحرية وانشاء المقاصف البحرية . كذلك تم تقسيم أراضي منطقة المعمورة ، وهو الشاطئ الذى كان مخصصا للأجرة المألكة السابقة ، الى مساحات متفاوتة لاقامة الفيلات والعمارات . وتوفرت للمنطقة كافة المرافق والخدمات ، وأصبحت المعمورة بمثابة مدينة هجرانية سياحية كاملة .

وكذلك الحال بالنسبة لمنطقة العجمى فى غرب الاسكندرية ، التى أقيمت فيها ، وفى منطقة هانوفيل ، مدن سياحية تنفرد بطابع معمارى متميز ، وتتوفر فيها الفنادق والفيلات والمحال العامة .

فى وسط المدينة انتشرت الحدائق العامة ، مثل حدائق أنطونى داس ، وحديقة الحيوان ، وحديقة الورد ، والحديقة المفتوحة ، فضلا عن حديقة المنتزه ، وحديقة الشلالات ، والمتنزهات الموجودة فى الميادين والطريق العامة ، وتبلغ مساحة هذه الحدائق ٤٥٠ فدانا .

فى نفس الوقت حفلت المدينة بالطرق الكبيرة العامة والميادين الواسعة ، مثل طريق الحرية الذى يمتد من باب شرق حتى منطقة فكتوريا ، وميدان الخرطوم الذى تزينه التماثيل والأعمدة ، وميدان الفريق عبد المنعم رياض الذى تحليه ساعة الزهور والنافورة ، وميدان محطة الرمل الشهير ، وميدان سعد زغلول الذى يتوسطه تمثال الزعيم الكبير ، ومنطقة السلسلة حيث

أقيم تمثال الأشعرة الطائرة الذى نحتة الفنان فتحي محمود تعبيراً عن أسطورة قديمة ترمز الى مولد الاسكندرية . كذلك تم شق طريق النصر من الميناء الى وسط المدينة ، وأقيم طريق قناة السويس كمدخل جديد للمدينة .

وقد جرى تعديل وتطوير فى موانئ الاسكندرية . فلم يعد الميناء الشرقى الشهير بتدوينه الهلالي ، ووجود جزيرة فاروس على طرفه الغربى والسلسلة على طرفه الشرقى ، يستخدم كميناء للمدينة ، وهو الذى كان فى الماضى ميناء لسفن الغرب التى كان محظورا عليها الرسو فى الميناء الغربى . وقد تجمعت حول هذا الميناء نواد رياضية واجتماعية مختلفة ، مثل : نادى الصيد ، ونادى اليخت ، والنادى اليونانى ، ونادى الكشافة البحرية ، بالاضافة الى معهد الأحياء المائية ، ومعهد علوم البحار . وبذلك تحول هذا الميناء الى منطقة للنزهة والتسلية والرياضة .

أما الميناء الغربى فهو ، الميناء الرئيسى - وفيه ترسو السفن على اختلاف أنواعها ، وله عدة مداخل يقع أهمها ، وهو مدخل الركاب ، عند نهاية شارع النصر الذى يربط الميناء وميدانى التحرير وعرايى في قلب المدينة . ويبلغ طول هذا الميناء ٤٨٠٠ متر ، وأكبر عرض له ٢٠٠٠ متر ، ومساحته المائية ٧٥٠٠ متر .

ويضم محطة ركاب تم بناؤها في عام ١٩٦٠ ، ومخطة لاسلكي ، وضوايح غلال ، ومراسي للبترول ، و ٨٦ رصيفا مجموع أطوالها ١٠٥٠٠ مترا تستطيع أن تستقبل ٦٥ سفينة في وقت واحد .

وفي نفس الوقت تم تطوير ترسانة الاسكندرية التي بُنيت في عهد محمد علي ، حتى أصبحت من أحسن الترسانات الحديثة المتميزة في بناء واصلاح السفن في حوض البحر المتوسط ، وقد بلغت مساحتها حوالي ٤٠٠ كيلو مربع ، وطول أرصفتها كيلو مترا ، وتمتلك امكانيات بناء السفن حتى ختولة ٣٠ ألف طن ، وبها أحواض جافة لاستقبال السفن حتى حمولة ١٠٠٠٠ طن بالحوض الجاف الصغير ، وحتى حمولة ٨٥٠٠٠ طن بالحوض الجاف الحديث .

كذلك تم انشاء مجمع لحديد التسليح - بالدخيلة ، وقد جرى انشاؤه في مايو ١٩٨٢ ، ويبلغ انتاج هذا المجمع حوالي ٧٥٠ ألف طن من جديد التسليح . وهذا المجمع الصناعي هو أحد المصانع التي ازدهمت بها الاسكندرية في مجال الغزل والنسيج والصباغة والورق والطباعة ، والأسمنت وتكرير البترول والسماد والصناعات الغذائية ، ويبلغ عدد العاملين فيها ما بين ١٥٠ و ١٦٠ ألف عامل ، يمثلون حوالي ٢٢ في المائة من جملة العاملين في مجال الصناعة على مستوى الجمهورية ،

وهي نسبة مرتفعة إذا علم أن تعداد الاسكندرية يمثل ١٤ر٤ في المائة فقط من تعداد سكان الحضر بالجمهورية .
ويسيطر القطاع العام على النشاط الصناعي في الاسكندرية حيث يضم حوالى ٩٣ر٥ في المائة من جملة عدد العاملين في مجال الصناعة بالمصانع التي يزيد عدد عمالها عن ٢٥ عاملا ، كما أن انتاجه يمثل ٩٦ر٤ في المائة من جملة الانتاج الصناعي . وتتجمع الصناعات الحبيرة في مناطق عديدة ، مثل جانبى ترعه المحمودية ، ومنطقة الميناء ، وأبى قير ، والسيوف ، وسموحة ، والدخيلة ، والمكس ، والعامرية . أما الصناعات الصغيرة فمتداخلة في بعض المناطق السكنية .

وفى خلال ذلك كان قد تم اكتشاف كثير من المعالم الأثرية فى الاسكندرية التي تبرز لمحات من عصور البطالمة والرومان والبيزنطيين والعرب . وفى منطقة كوم الشقافة (قرية راقودة القديمة) يقع عامود السوارى الشهير ، والمقبرة الأثرية التي تم اكتشافها بطريق الصدفة عام ١٨٩٢ . وفى كوم الدكة يقع المسرح الرومانى الذى تم اكتشافه فى عام ١٩٦٤ ، والحمامات الرومانية وبعض مقابر العصر الاسلامى . وفى الأنفاسى (جزيرة فاروس الشهيرة) اكتشفت احدى الجبانات الهامة عام ١٩٠١ ، وهى ترجع فى تاريخها الى العصر البطلمى ، فأصبحت مع قلعة قايتباى الشهيرة معلما شهيرا من معالم الاسكندرية ، بعد أن قامت

مصلحة الآثار المصرية بترميم البناء وتقويته بنفس
الأحجار الأصلية بعد إصابته بقنابل الانجليز عام
١٨٨٢ - وقد احتفظت الاسكندرية ببعض صهاريج
المياه التي اعتمدت عليها في العصور القديمة في عملية
تخزين المياه ، وأكبرها صهريج الشلالات الذي يطل على
شارع الشهيد صلاح مصطفى ، وهو مربع الشكل ومكون
من ٣ طوابق - كذلك اكتشفت مقبرة الشاطبي الأثرية
ناحية البحر شمال مدرسة سان مارك ، وهي منحوتة
في الصخر ، وهي من أهم المقابر التي وجدت في
الاسكندرية ، وقد عثر فيها على الكثير من آثار العصر
البطلمي ، وأهمها تماثيل التناجرا الشهيرة التي تميز
المتحف اليوناني الروماني - وفي عام ١٩٥٢ اكتشفت
بمنطقة كليوباترا مقبرة يرجع تاريخها الى أوائل القرن
الثالث الميلادي ، وهي مقبرة شارع تيجران -
(بور سعيد الحالي) وتم نقل أجزائها الرئيسية الى
منطقة كوم الشقافة حيث أعيد بناؤها - وفي خلال
عامي ١٩٣٣ و ١٩٣٤ اكتشفت مقابر منطقة مصطفى
كامل في الشمال الشرقي لشكنات مصطفى كامل ،
وتتميز عن المقابر في بلاد اليونان بالطراز المعماري
الفريد والنقوش البارزة - كذلك اكتشف في عام
١٩٣٦ معبد الرأس السوداء ، أو معبد ايزيدور ، في
شرقي المدينة ، وهو على الطراز الروماني الخاص ، وقد
أقامه ايزيدور في القرن الثاني الميلادي هدية للآلهة

ايزيس ، بداخلة مجموعة كبيرة من الالهة الرخامية وتمثل الالهة ايزيس ، وأوزوريس كأنسوب ، وهرمانوبيس ، وحرپوقراط . وقد أنشأت الحكومة المصرية فى عام ١٨٩٥ متحفا لجمع كنوز وتراث الاسكندرية فى العصور اليونانية والرومانية ، وافتتحة الخديوى عباس حلمى يوم ٢٨ سبتمبر ١٨٩٥ .

والمهم أن الاسكندرية فى عصر الاستقلال الوطنى شهدت من التطور الحضارى والامتداد العمرانى ما لنم تشهده حتى فى عصر البطالة . فهى العاصمة الثانية للدولة ، وهى مركز للاشعاع الثقافى ، فيها عدة متاحف فى المتحف اليونانى الرومانى، والمتحف البحرى، ومتحف الفنون الجميلة ، ومتحف محمود سعيد ، ومتحف التاريخ الطبيعى، ومتحف ومعهد الأحياء المائية . وفيها مكتبة الاسكندرية التى أنشئت عام ١٨٩١، وتحتوى على أكثر من ربع مليون مجلد عربى وأجنبى ، بالإضافة الى ٤ آلاف مخطوط ، وفيها أيضا أكاديمية الفنون ، واتيليه الاسكندرية .

كذلك فيها الكنائس الهامة ، مثل الكنيسة المرقسية ، التى تأسست فى القرن الأول الميلادى ، وتحفظ برأس القديس مرقس ، وقد تجدد بنائها عبر العصور ، وكان آخرها فى نوفمبر ١٩٥٢ ، بالإضافة الى الكاتدرائية الكاثوليكية ، والكنائس الانجليزية ،

والرومية، والمارونية واليونانية والأرمنية والأنجيلية،
واللاتين، والفرنسيسكان، ومننان فارك، والآباء
اللازاريين. فضلا عن المساجد والمزارات الإسلامية
الشهيرة، التي تطل على الميناء الشرقي، مثل مسجد
أبي العباس المرمي، ومسجد البوصيري، ومسجد سيدي
ناصر ناصر الدين، ومسجد سيدي بشر.

وقد اتسعت مساحة الاسكندرية اتساعا هائلا لم
يحدث في تاريخها، فهي تشغل شريطا ساحليا يمتد
طوله ٧٠ كيلو مترا في شمال غرب الدلتا، ويحده
البحر المتوسط شمالا، وبحيرة مريوط جنوبا حتى الكيلو
٧١ على طريق مصر الاسكندرية الصحراوي، وتخليج
أبي قبر ومنطقة ادكو شرقا، وسيدي كرير غربا إلى
الكيلو ٣٦٣. وتبلغ المساحة الكلية للمحافظة وفقا
لاحصاء ١٩٧٦ أكثر من ٢٦٧٩ كيلو مترا مربعا، يغطي
ال عمران منها منطقة مساحتها حوالي ١٠٠ كيلو متر
مربعا، تضم مدينة الاسكندرية وضواحيها الجديدة،
وهي كنج مريوط، والعلمين، وسيدي عبد الرحمن.
ويتكون الباقي من ٤٠ في المائة أرض زراعية، و ٣٥
أرضا صحراوية، ٢٥ في المائة تغطيه مياه بحيرة
مريوط.

ويهمنا من هذه المساحة الامتداد المتناسك
للاسكندرية القديمة، الذي يتمثل في أحيائها السكنية

الجديدة ، وهي أحياء المنتزه ، والرمل ، وسيدى جابر ،
وباب شرق ، ومجرم بك ، والبطارين ، والجمرك ،
والمنشية ، واللبان ، وميناء الاسكندرية ، وكرموز ،
ومينا البصل ، والبخيلة ، والعامرية .

وهذه الأحياء كلها تضم ما يقرب من ثلاثة ملايين
نسمة (٦٢١ر٧٢٥ر٢) وفقا لاصحاء ١٩٧٦ . وتتنبأ
الدراسات الخاصة بتعداد سكان الاسكندرية خلال
السنوات القادمة حتى سنة ٢٠٠٠ ، أن يصل هذا
التعداد الى حوالى ٥٦٦ر٤ مليون نسمة . واذا نحن
قارنا هذا التعداد بتعداد الاسكندرية عند مجيء الحملة
الفرنسية ، وهو نحو ثمانية آلاف نسمة ، فان هذه
المقارنة تبين حجم التطور الهائل الذى طرأ على
الاسكندرية عبر العصر الحديث .

د . عبد العظيم رمضان

من أهم أعمال المؤلف

- ١ - تطور الحركة الوطنية في مصر (١٩١٨ - ١٩٣٦)
(القاهرة : دار الكاتب العربي ١٩٦٨) .
- ٢ - تطور الحركة الوطنية في مصر (١٩٣٧ -
١٩٤٨) - مجلدان .
(بيروت : دار الوطن العربي ١٩٧٣) .
- ٣ - الصراع الاجتماعي والسياسي في مصر ، من
ثورة يوليو الى أزمة مارس ١٩٥٤ .
(القاهرة : مكتبة مديولي ١٩٧٥) .
- ٤ - عبد الناصر وأزمة مارس .
(القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٧٦) .
- ٥ - الجيش المصري في السياسة (١٨٨٢ - ١٩٣٦)
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧)
- ٦ - صراع الطبقات في مصر (١٨٣٧ - ١٩٥٢) .
(بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر
١٩٧٨) .

- ٧ - الصراع بين الوفد والمرش (١٩٣٦ - ١٩٣٩) -
(بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر
١٩٧٩) •
- ٨ - الفكر الثورى فى مصر ، قبل ثورة ٢٣ يوليو •
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨١) •
- ٩ - المواجهة المصرية الاسرائيلية فى البحر الأحمر
(١٩٤٩ - ١٩٧٩) •
(القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٨٢) •
- ١٠ - الأخوان المسلمون والتنظيم السرى •
(القاهرة : دار روز اليوسف يناير ١٩٨٣) •
- ١١ - الصراع بين العرب وأوروبا ، من ظهور الاسلام
الى انتهاء الحروب الصليبية •
(القاهرة : دار المعارف ١٩٨٣) •
- ١٢ - حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ •
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤) •
- ١٣ - مذكرات السياسيين والزعماء فى مصر •
(القاهرة : دار الوطن العربى ١٩٨٤) •
- ١٤ - تحطيم الآلهة ، حرب يونيو ١٩٦٧ • (جزآن)
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤) •

- ١٥ - الغزوة الاستعمارية للعالم العربي ، وحركات المقاومة .
(القاهرة : دار المعارف) .
- ١٦ - مصر في عصر السادات (الجزء الأول) .
(القاهرة : مكتبة مدبولي ١٩٨٦) .
- ١٧ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الأول
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧) .
- ١٨ - مصطفى كامل في محكمة التاريخ .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب) .
- ١٩ - أكتوبية الاستعمار المصري للسودان .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٣ سنة ١٩٨٨) .
- ٢٠ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثاني
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨) .
- ٢١ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثالث .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩) .
- ٢٢ - مصر في عصر السادات الجزء الثاني .
(القاهرة : مكتبة مدبولي ١٩٨٩) .

٢٣ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الرابع .

(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠)

٢٤ - الاجتياح العراقي للكويت فى الميزان التاريخي

(القاهرة ١٩٩٠) .

٢٥ - حرب الخليج فى محكمة التاريخ .

(القاهرة : الزهراء - ١٩٩٠) .

٢٦ - العلاقات المصرية الاسرائيلية ١٩٤٨ - ١٩٧٩

(القاهرة : سلسلة تاريخ المصريين ٤٩ سنة

(١٩٩١) .

٢٧ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الخامس

(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢)

٢٨ - الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك .

(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣)

٢٩ - تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث .

(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣)

مع آخرين :

١ - مصر والحرب العالمية الثانية ، مع الدكتور

جمال الدين المسدى والدكتور يونان لبيب رزق

(القاهرة : مؤسسة الأهرام ١٩٧٨) .

٢ - تاريخ أوروبا في عصر الرأسمالية ، مع الدكتور
يوانان لبيب رزق و د^و رموف عباس *

(القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) *

٣ - تاريخ أوروبا في عصر الامبريالية ، مع الدكتور
يوانان لبيب رزق و د^و رموف عباس *

(القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) *

كتب مترجمة :

١ - تاريخ النهب الاستعماري لمصر (١٧٩٨ -
١٨٨٢) تأليف جون مارلو *

(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦)

● صدر من هذه السلسلة :

- ١ - مصطفى كامل في محكمة التاريخ
د. عبد العظيم رمضان
- ٢ - على ماهر
اعداد : رشوان محمود جاب الله
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة
اعداد : عبد السلام عبد الحليم هاجر
- ٤ - التيارات الفكرية في مصر المعاصرة
د. محمد نعمان جلال
- ٥ - غارات اوربا على الشواطئ المصرية في العصور
الوسطى
عطية عبد السميع
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر ج ١
لعي الطيعي
- ٧ - صلاح الدين الأيوبي
د. عبد المنعم ماجد
- ٨ - رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية
د. على بركات
- ٩ - صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل
د. محمد انيس
- ١٠ - توفيق نياض ملحة الصحافة الحزبية
محمود فوزي

- ١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية
شسكري القاضي
- ١٢ - هدى شعراوي وعصر التنوير
د. نيل راجب
- ١٣ - اكنوية الاستعمار للمصري للسودان
د. عيد العظیم رمضان
- ١٤ - مصر في عصر الولاة
د. سيدة اسماعيل كاشف
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ الاسلامي
د. علي حسن الخريوطي
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعي في مصر
د. حلمي احمد شلبي
- ١٧ - القضاء الشرعي في مصر في العصر العثماني
د. محمد نصر فرحات
- ١٨ - الجوارى في مجتمع القاهرة المملوكية
د. علي السيد محمود
- ١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين
د. احمد محمود صايون
- ٢٠ - المراسلات المصرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي
د. محمد آتيس
- ٢١ - التصوف في مصر ابان العصر العثماني ج ١
توفيق الطويل

٢٢ - نظرات في تاريخ مصر
جمال يدوي

٢٣ - التصوف في مصر ابان العصر العثماني ج ٢
توفيق الطويل

٢٤ - الصحافة الوفدية
د. نجوى كامل

٢٥ - المجتمع الاسلامي - ج ١

ترجمة : د. عبد الرحيم مصطفى

٢٦ - تاريخ الفكر التربوي في مصر الحديثة
د. سعيد اسماعيل على

٢٧ - فتح العرب لمصر ج ١
ترجمة : محمد فريد أبو حديد

٢٨ - فتح العرب لمصر ج ٢
ترجمة : محمد فريد أبو حديد

٢٩ - مصر في عهد الاخشيديين
د. سيدة اسماعيل كاشف

٣٠ - الموظفون في مصر
د. حلمي احمد شلبي

٣١ - خمسون شخصية وشخصية
شكري القاسبي

٣٢ - مؤلاء الرجال من مصر ج ٢
لمى المطيعي

- ٢٣ - مصر وقضايا الجنوب الأفريقي
د. خالد الكومي
- ٢٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية
د. يونان ليبيب رزق
- ٢٥ - اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة
عبد الحميد توفيق زكى
- ٢٦ - المجتمع الاسلامى والغرب ج ٢
ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى
- ٢٧ - الشيخ على يوسف
تأليف : د. سليمان صالح
- ٢٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى
العصر العثمانى
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم
- ٢٩ - قصة احتلال محمد على لليونان
د. جميل عبيد
- ٤٠ - الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب ١٩٤٨
د. عبد المنعم النصوقى الجميلى
- ٤١ - محمد فريد الموقف والاماسة
رفعت السعيد
- ٤٢ - تكوين مصر عبد العصور
محمد شفيق غيريال
- ٤٣ - رحلة فى عقول مصرية
ابراهيم عبيد العزيز

٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر
العثماني

د محمد عفيفي

٤٥ - الحروب الصليبية

تأليف : وأيم الصوري

ترجمة : د ١٩٥١ حسن حيفي

٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٣٩ : ١٩٥٧

تأليف : د عبد الرؤوف أحمد عمرو

٤٧ - تاريخ القضاء المصري الحديث

تأليف : د ١ لطيفة محمد سالم

٤٨ - الفلاح المصري

تأليف : د زبيد عطا

٤٩ - العلاقات المصرية الاسرائيلية

تأليف : د ١٠٠١ د عبد العظيم رمضان

٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية

تأليف : د ١٠٠١ د سهير اسكندر

٥١ - تاريخ المدارس في مصر الاسلامية

اعداد : د ١٠٠١ د عبد العظيم رمضان

٥٢ - مصر في كتابات الرحالة والفاصل الفرنسيين في

القرن الثامن عشر

تأليف : د ١٠٠١ د الهام محمد علي نهدي

٥٣ - أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك

د محمد كمال الدين عز الدين علي

- ٥٤ - الأقباط في مصر في العصر العثماني
تأليف الدكتور محمد عفيفي
- ٥٥ - الحروب الصليبية ج ٢
ترجمة وتحقيق د . حسن حبشي
- ٥٦ - المجتمع الريفي في عصر محمد علي
د . حلمي شلبي
- ٥٧ - مصر الإسلامية وأهل النمة
د . سيدة اسماعيل كاشف
- ٥٨ - أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة
د . إبراهيم عبد الله المسلمي
- ٥٩ - الرأسمالية الصناعية
عبد السلام عبد الحليم علي
- ٦٠ - المعاصرون من رواد الموسيقى العربية
عبد الحميد توفيق زكي

الفهرس

صفحة

٤	تقديم	
	● الحالة الحضارية للاسكندرية عند مجيء الحملة	
١٣	الفرنسية	
٦٨	الاسكندرية فى عهد الاحتلال الانجليزى الاول	—
٧٠	الاسكندرية فى عهد الفوضى المملوكية . . .	—
٨١	الاسكندرية وحملة فريزر	—
١٢	الاسكندرية فى عصر محمد على وخلفائه . .	—
١٠٧	الاسكندرية والاحتلال البريطانى سنة ١٨٨٢ .	—
١١٦	الاسكندرية فى عهد الاحتلال البريطانى . .	—
١٢٧	الاسكندرية فى عصر الاستقلال الوطنى . .	—
١٣٩	من اهم اعمال المؤلف	—

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٢٥١٨ / ١٩٩٢

ISBN — 977 — 01 — 3313 — 2

هذا الكتاب

يتيح للقارئ الإحاطة بتاريخ مدينة الاسكندرية في العصر الحديث ويتابع حالة الاسكندرية قبل الحملة الفرنسية والمحاولات التي مهدت لها لإعادة إحياء الطريق البرى بين السويس والإسكندرية ووصول الأسطول الانجليزى بقيادة نلسون إليها قبل وصول الأسطول الفرنسى ، والصراعات السياسية والعسكرية الدولية والمحلية التى دارت فى الاسكندرية اثناء الحملة الفرنسية حتى خروجها من مصر . كما يتناول الاسكندرية فى فترة الاحتلال الانجليزى الأول ، وفى عهد الفوضى المملوكية ، وحملة فريزر ، وولاية محمد على للحكم . كما يتابع محاولات محمد على لإحياء الاسكندرية وإعادة تانيها الى مكانتها التى فقدتها على مدى قرون . واوضاع الاسكندرية اثناء الثورة العربية ، وإحراقها على يد سليمان داود عند انسحاب القوات العربية . ثم حالة الاسكندرية فى اثناء الاحتلال البريطانى ، وزيادة الطابع الأوروبى لها ، ونشاط الأوروبيين فيها . وينتهى بما صارت اليه مدينة الاسكندرية فى عهد الاستقلال الوطنى ، وتفوقها على مركزها الأول .

